التشيّع في الأندلس

منذ الفتح حتي نهاية الدولة الأموية

تأليف

الدكتور محمود علي مكي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية



التشيع في الأندلس

منذ الفتح حتي نهاية الدولة الأموية

تأليف

الدكتور محمود علي مكي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية



الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

رقم الإيداع	٢٠٠٣/٢١٢٢٨
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-341 - 132-x

التشيّع في الأندلس

١ - منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية

تمهيد:

نشأة الحزب الشيعي في المشرق:

ترجع نشأة الحزب الشيعي إلى وقت مبكر في تاريخ الإسلام. فقد بدأت طلائعه منذ توفي النبي ﷺ سنة ١٢هـ (٦٣٢) وكان من رأى بعض الصحابة أن أولى الناس بالخلافة هم أهل بيت النبي أي بنو هاشم، وأولى هؤلاء ابن عمه علي بن أبي طالب.

وهكذا نستطيع أن نقول: إن الشيعة كانوا أول حزب سياسي ديني في الإسلام.

ولكن اجتماع السقيفة المشهور انتهى باختيار أبي بكر واضطر علي أن يبايع له.

ثم عهد أبو بكر لعمر بالخلافة تعيينًا منه وأوصى عمر إلى ستة بينهم علي، ولكن انتهى الأمر باختيار عثمان بن عفان.

وقد كان بين بني أمية وبني هاشم تنافس قديم على الرياسة منذ الجاهلية. فلما ولي عثمان اعتبر بنو أمية الدولة دولتهم ومال هو إليهم ميلاً ألب عليه طائفة من المسلمين وانتهى الأمر بقتله.

وقد اتهم الأمويون عليًا بالمشاركة في دمه وهكذا شجر النزاع بين الحزب الأموي والحزب العلوي ثم انقلب هذا النزاع إلى حرب مسلحة كان يمثل الحزب الأموي فيها معاوية بن أبي سفيان والي الشام منذ أيام عمر وقد نشبت بين الفريقين حرب طويلة انتهت بأن قبل علي ومعاوية التحكيم.

وجاءت خدعة التحكيم بنتيجة في صالح معاوية فأسبغت على مطامعه بعض الشرعية، كما إنها تسببت في خلق حزب ثالث انشق من الحزب الشيعي هو حزب الخوارج.

وقد استمر النزاع رغم ذلك بين علي ومعاوية حتى قتل علي سنة ٤٠هـ (٦٦٠) بيد أحد الخوارج.

وهكذا سارت الأمور شيئًا فشيئًا في مصلحة الأمير الأموي الذي أعلن نفسه خليفة في السنة التالية، ثم زاد أمره قوة تنازل الحسن بن علي له عن الخلافة حرصًا على الجماعة واجتنابًا للفرقة.

وما إن استوثق له الأمر حتى ولى عهده ابنه يزيد من بعده وبايع له وانتقلت الخلافة إلى ملك وراثي مستقر في البيت الأموي.

ولكن الأحزاب المعارضة لم تسلم بالأمر في سهولة، وكان على الأمويين أن يخمدوا ثوراتهم المتوالية.

وقد استمر الخوارج طوال الحكم الأموي يقاتلون بحماسة وإخلاص دفاعًا عن مبدأ الجمهورية الإسلامية.

أما الشيعة فقد خرجوا مرارًا، وكان من أهم حركاتهم الثورية خروج الحسين بن علي في أيام يزيد بن معاوية، وانتهت ثورته بقتله وقتل من معه في مذبحة (كربلاء) سنة ٦١ (٦٨٠) التي كان لها أثر عميق في الحياة الفكرية والأدبية للشيعة.

كما أوقع يزيد بعد ذلك بأهل المدينة من الأنصار في موقعة (الحرة) سنة ٦٣/ ٦٨٢ وكان الأنصار يعطفون على قضية الشيعة.

ثم عقب ذلك ثورة شديدة قام بها عبد الله بن الزبير ومعه الساخطون من المضرية، ولكن جيش ابن الزبير هزم هزيمة ساحقة على يد مروان بن الحكم الذي استقرت الخلافة من بعده في ولده.

قوة الحزب الأموي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي

وعلى الرغم من انشغال الأمويين في هذه الحروب الداخلية فإن الإمبراطورية الإسلامية شهدت أعظم اتساع في أيامهم، وكانت جيوشهم في هذه الأثناء تتقدم شرقًا وغربًا في نجاح مطرد، وفى سنة ٩٢ استطاعوا أن يضيفوا إلى مملكتهم الواسعة شبه جزيرة إيبريا ويوطدوا فيها أقدامهم.

وقد أبدى الأمويون نحو إسبانيا اهتمامًا كبيرًا ربما كان مردّه إلى غناها وكثرة ما غنموه منها أو تلك النبوءة التي كان مسلمة بن عبد الملك يؤمن بها وهى أن الأندلس ستكون مستقر دولتهم الثانية[١].

على أية حال استقر في الأندلس منذ فتحها عدد كبير من موالى بنى أمية وجنودهم المخلصين[٢]، كما أن معظم من اشترك في الفتح من العرب كانوا من الشاميين الذين قامت على أكتافهم الدولة الأموية.

وقد ظهر صدى الدعوة الأموية فيما كان يحدث حينذاك من حروب أهلية.

وقد كان جنود بلج بن بشر الشاميون يذكرون والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري بأنه إنما أفلت من سيوفهم يوم الحرة (وكان ابن قطن قد اشترك في هذه الموقعة التي أشرنا إليها في صف الأنصار وضد جيش يزيد بن معاوية) وكان جزاؤه على ذلك أن صلبوه ومثّلوا به سنة ١٢٣ (٧٤١)[٣].

ويجب أن نذكر كذلك أنه كان من بين جنود بلج هؤلاء عدد اشترك في الحروب التي اشتعلت بين الأمويين وخصومهم الشيعة في العراق.

ومن أهم هؤلاء: شمر بن ذى الجوشن الكلابى الذي قتل الحسين بن على بيده في كربلاء ثم هرب من الكوفة إلى الشام خوفًا من انتقام المختار بن أبي

(١) أخبار مجموعة ٥٢.

(٢) يقدر المقري موالي المروانية في الأندلس قبل قدوم عبد الرحمن الداخل بعدد يتراوح بين ٤٠٠و٥٠٠ - نفح ٢٨/٤.

(٣) المقري: نفح الطيب ٢٠/٤.

عبيد الثقفي. ودخل الأندلس مع بلج، وكان حفيده الصميل بن حاتم من أكبر القواد في الأندلس ووزيرًا لأميرها يوسف بن عبد الفهرى.

* * *

سقوط الخلافة الأموية في المشرق واستقلال عبد الرحمن الداخل بالأندلس

وفى هذا الوقت كانت ضربات الأحزاب المعارضة من شيعة وخوارج تتزايد على بنى أمية حتى انتهت بسقوط دولتهم سنة ١٣٢ (٧٤٩) وظن الشيعة العلويون أن الدولة أصبحت لهم، ولكن خاب ظنهم حين قبض أبناء عمومتهم من بني العباس على ناصية الأمر وجعلوا الخلافة في بيتهم، وعاد الشيعة مرة أخرى إلى نشاطهم كحزب معارض.

أما العباسيون فإنهم بدافع الانتقام من بنى أمية نكلوا بمن بقى منهم تنكيلا شديدًا حتى اضطروهم أن يتخفوا أو يهربوا إلى أقاصي الأرض. وكان ممن هرب من مطاردة العباسيين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي هرب إلى الأندلس مدفوعًا بعاملين:

الأول: بعدها عن مركز الخلافة العباسية في المشرق.

والثاني: كثرة موالي الأمويين بها، واستطاع أن يؤسس في قرطبة إمارة أموية مستقلة، وقد حفز نجاحه في ذلك كثيرًا من الأمويين على أن يهاجروا إلى الأندلس، وكان عبد الرحمن يعهد إليهم بأرقى المناصب، وهكذا رسخت أقدام الأمويين في الأندلس.

* * *

مبادئ التشيع الأندلسي

مراكز الثورات الشيعية الأولى:

وواضح بعد هذا أن الأندلس منذ فتحت كانت أموية النزعة ولهذا فقد بدأ التشيع فيها ضعيفًا [1].

وقد استغرق عبد الرحمن طول مدة إمارته (١٣٨ - ١٧٢ هـ. = ٧٥٦ - ٧٨٨م). في إخماد الثورات التي قامت ضده وعني بشكل خاص بأن يضرب بيد من حديد على كل دعوة هاشمية، عباسية كانت أو علوية. وقد وجد في الأندلس - رغم اتجاهها الأموي القوي - مركزان للتشيع كانا مصدرًا للثورات:

الأول: بين البيوت العربية التي دخلت الأندلس، وكانت تدين بنصرة آل علي من قبل فظلت فيها هذه النزعة متوارثة.

والثاني: بين القبائل البربرية.

* * *

(١) ينحصر ذكر علي بن أبي طالب في هذه الفترة في أن بعض من دخل بلاد الأندلس من التابعين كان من تلامذته وأنصاره مثل حنش الصنعاني الذي ينسب إليه فضل بناء جامعي سرقسطة وإلبيرة وكان ممن حارب في صف علي ثم ابن الزبير ضد الأمويين ولكنه لم يعرف في الأندلس بأي نزعة علوية - المقري: نفح ٤/٥، ٦.

بين العرب:

وأول الثورات العربية التي كان لها صلة بالعلويين هي ثورة عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر، وجده عمار كان من أشد أصحاب علي إخلاصًا له وتفانيًا في الدفاع عنه، وقد قتل عمار في صفين بأيدي الأمويين.

ويجب ألا ننسى مدى الصلة الوثيقة بين المنازع الحزبية والعصبية القبلية المتوارثة في هذه الفترة من حياة المسلمين، فقد ظل عبد الله بن سعيد هذا معاديًا للحزب الأموي في الأندلس.

ويشير ابن حيان إلى أن هذه العداوة قد استغلها يوسف بن عبد الرحمن الفهرى أمير الأندلس عند قدوم عبد الرحمن الداخل، فعهد إلى الياسرىّ بقتاله لما كان يعرفه من الخصومة والثأر بين عائلتيهما، ولكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح [١].

والثورة الثانية: هي التي قام بها الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الخزرجي، فقد ثار في سنة ١٦٥ (٧٨٢) بسرقسطة وخلع طاعة عبد الرحمن، وشايعه سليمان بن يقظان الأعرابي [٢]، ومما يذكر أن جد هذا الثائر سعيد بن سعد كان من شيعة علي، وقد ولي له اليمن وولي أخوه قيس بن سعد مصر لعلي كذلك.

ويقول ابن حزم: إنه كان من سلالة هذه الأسرة الشاعر أبو بكر عبادة بن ماء السماء الذي أصبح شاعر الحموديين والناطق بلسان الشيعة في أيام ملوك الطوائف [٣].

* * *

(١) المقري: نفح ٣/٩٦، ٤/٦١.
(٢) أخبار مجموعة ١١٢ أ ١١٤ وابن عذارى: بيان ٢/٨٤.
(٣) ابن بسام: ذخيرة القسم الأول - ١/٢.

بين البربر

والمركز الثاني للتشيع - وهو الأهم - هو القبائل البربرية، وذلك أن التشيع منذ نشأته اتخذ صبغة مضادة للعرب وللعصبية العربية، وكما أن التشيع في المشرق قام عليه الموالى من الفرس فكذلك في المغرب قام عليه الموالى من البربر.

ولهذا فقد كانت بلاد شمال إفريقية تربة خصبة للدعوات الشيعية، وقد تردد صدى التشيع في الأندلس لأول مرة بين صفوف البربر الذين اشتركوا مع العرب في الفتح، واستأثر دونهم العرب بمغانم الانتصار وثمراته.

ولهذا كان علينا أن نتتبع البيئات التي استقر فيها البربر في الأندلس؛ ونستطيع أن نقول بوجه عام إن البربر استوطنوا على الأغلب المناطق الجبلية والهضاب المرتفعة لا سيما الممتدة في وسط شبه الجزيرة، وهي المنطقة التى كانت تعرف «بالجوف» وكذلك المناطق الجبلية في جنوب شرق الأندلس في قورية البيرة [١].

وهذا هو ما ترك لهم السادة العرب بعد إن احتلوا أهم الوديان الخصبة والسهول، وقد كانت المناطق البربرية ميدانًا لجميع الثورات الشيعية التي عرفتها الأندلس كما سنرى.

* * *

(١) Levi Provencal: Histoire...I 85 - 88.

ثورة شقيا بن عبد الواحد:

وأول الثورات البربرية الشيعية هي التي قام بها شقيا بن عبد الواحد المكناسي في منطقة شنتبرية (Santaver)، وكانت أخطر الثورات التي هددت عبد الرحمن الداخل وأطولها إذ استمرت من ١٥١ إلى ١٦٠ (٧٦٨-٧٧٧)، وقد امتدات ما بين ماردة (Merida) وقورية (Coria) غربًا إلى ثغور وادي الحجارة (Guadalajara) وكونكة (Cuenca) شرقًا، أى في جميع الهضبة التي تتوسط شبه الجزيرة [١].

وكان هذا الثائر معلم صبيان أصله من لجدانية (؟) (Labjdenia) (وادي الحجارة) [٢]، وكانت أمه تسمى فاطمة، فادعى أنه فاطمي وتَسمى بعبد الله بن محمد [٣]، وقد سير عبد الرحمن الداخل جيوشًا كثيرة لمحاربته، منها جيش كان على قيادته عثمان بن مروان العثماني، فانتصر عليه الفاطمي وقتله [٤]، وكان يستخدم أسلوبًا حربيًا مألوفًا لدى البربر، وهو تجنب المعارك الحاسمة في السهول والفرار إلى قمم الجبال إذا أحس بالخطر.

ولم يتمكن عبد الرحمن من هذا الثائر إلا بمؤامرة دبرها بعض أصحابه له فاغتالوه سنة ١٦٠ (٧٧٦-٧٧٧) [٥].

ولعل هذه الثورة هي أول محاولة لإقامة دولة شيعية في الغرب الإسلامي، إذ أنها سبقت تكوين دولة الأدارسة العلوية بنحو عشرين سنة.

وقد كشفت هذه التجربة عما يمكن للدعوات الشيعية أن تصيبه من النجاح في أوساط القبائل البربرية.

---

(١) ابن عذارى: بيان ٢/٨٠ - ٨١.
(٢) أخبار مجموعة: فهرس الأعلام الجغرافية ص٢٥٧ من الترجمة الأسبانية.
(٣) ابن الأثير: الكامل ٥/٣٤.
(٤) ابن حزم: جمهرة ٧٨.
(٥) راجع: Levi Provencal: Histoire...I 112 -114.

ولسنا نعلم شيئًا مفصلاً عن تعاليم هذا الثائر، إلا أن ابن عذارى يسميه (الداعي الفاطمي) وربما دل هذا على أنه كان يدعو لغيره بالخلافة، وعلى أية حال فقد كان لثورته طابع روحي مذهبي.

ويذكر صاحب (أخبار مجموعة) أن القائد الأموي وجيهًا الغساني - وهو الذي وجهه عبد الرحمن لمحاربته - اقتنع بدعوته وآمن بها وصار من أكبر أعوانه، وظل مخلصًا له حتى بعد قتله، إذ هرب إلى جبال إلبيرة وما زال يقاتل جيوش عبد الرحمن بشجاعة واستبسال حتى قتل [١].

* * *

ثورة شرق الأندلس:

وفي نهاية القرن الثاني الهجري تجد الدعوات الشيعية كثيرًا من الرواج في العالم الإسلامي كله، لا سيما بعد أن أوقع العباسيون بالثوار العلويين الذين تزعمهم الحسين بن علي بن الحسن في موقعة فخ سنة ١٦٩ (٧٨٦) تلك الموقعة التي اعتبرها الشيعة كربلاء أخرى، وكان لها أثر بعيد في مصير هذا الحزب، فقد أفلت من هذه الوقعة شخصان قدر لهما النجاح في تكوين دولتين شيعيتين وهما:

يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي استولى على الديلم في شمال إيران.

وأخوه: إدريس الذي استطاع أن يقيم دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة ١٧٠.

وقد كان لهذا الاضطراب السياسي والفكري الذي عم العالم الإسلامي صداه في الأندلس وبين البربر الذين أثبتوا حاجتهم إلى زعيم روحي جديد.

وقد تمثل هذا الزعيم في شخصية معلم آخر لم تحتفظ لنا المراجع باسمه قام

---

(١) أخبار مجموعة ١١١.

في شرق الأندلس [١] سنة ٢٣٧ (٨٥١) وادعى النبوة، وكان يتأول القرآن على غير تأويله وكان من شرائعه النهى عن قص الشعر وتقليم الأظفار.

وقد قبض على هذا المتنبئ وحوكم بتهمة الزندقة وعرضت عليه التوبة فلما أبى صلب. وهذه النزعة إلى تأويل القرآن تدل على أنه كان متأثرًا إلى حد ما بالدعايات الباطنية التي سبقت تكوين الدولة الفاطمية، وقد أشار أسين بلاثيوس (Asin Palacios) إلى الشبه بين تعاليمه في النهى عن قص الشعر والأظافر وبين التعاليم، الفيثاغورية [٢].

وقد تأثر الإسماعيلية فعلا بالنظم الفيثاغورية تأثرًا شديدًا [٣].

على أن قتل هذا المتنبئ لم يقض على الحركات الشيعية في الأندلس، إذ أن الدعايات الفاطمية كانت قد بلغت في هذا الوقت ذروة نشاطها في المشرق والمغرب:

اما في الشرق: فكان الشيعة الإمامية في فارس والعراق ينتظرون رجعة إمامهم الثاني عشر محمد المهدي الذي اختفى سنة ٢٦٥ في سرداب، بينما كان الشيعة الإسماعيلية أو السبعية يبشرون بظهور إمامهم ويجوسون خلال البلاد الإسلامية باحثين عن البيئة الملائمة لدعوتهم، وقد تبينوا أن جماعات البربر في شمال إفريقية أصلح ما تكون لها، وصادف ذلك تفكك الوحدة السياسية والعنصرية للإمارة الأموية في عهد الأمير عبد الله. فاستغلت الدعوة الفاطمية هذه الفرصة، وحاولت الاستفادة من الثورات في الأندلس، كما أرادت هذه الثورات أن تستند إلى حجة دينية ولم تر خيرًا من الدعوة العلوية.

---

(١) هكذا يقول ابن عذارى بدون أن يأتي بتحديد واضح (بيان ١٣٤/٢) أما ابن سعيد فيجعل ثورته في الثغر الأعلى Aragon (مغرب ص٥٠) ولعل المعقول أن تكون هذه الثورة في المناطق الواقعة بين السواحل الشرقية وضفاف نهر الإبرو الجنوبية أي تقريبًا في نفس المنطقة التي ثار فيها شقيا من قبل.

(٢) راجع بـ Asin Palacios Ibn Masarra .9.30.

(٣) راجع كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ص ١٧.

وكانت أخطر هذه الثورات هي التي قام بها عمر بن حفصون في جنوب الأندلس، وقد امتدت سنين طويلة، واستغرقت إمارة عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠) وجزءًا من إمارة عبد الرحمن الناصر.

وقد استغل عمر بن حفصون الدعوات العلوية في شمال إفريقية، ويذكر ابن حزم أنه خطب للقاسم ابن إبراهيم الإدريسي صاحب البصرة [١].

أما ابن الخطيب [٢] فيذكر أنه خاطب الفاطميين في إفريقية فوجه إليه هؤلاء داعيين ممن يعتقد بمذهبهم وقدم هذان فحضّا عمر بن حفصون على التمسك بطاعة الفاطميين وإقامة دعوتهم بالأندلس.

وقد أقام هذان الداعيان لدى ابن حفصون واستعان هذا بهما في حروبه ضد بنى أمية ثم وجه بهما مرسلا معهما هدية إلى الخليفة الفاطمي.

ولكن ابن حفصون على أية حال لم يكن مخلصًا للدعوة العلوية، وإنما كان يتخذها مطية لأغراضه، يكايد بها الأمويين في قرطبة متى شاء.

ثورة احمد بن معاوية القط:

على أن الحركة التي تأثرت بالدعوة الفاطمية تأثرا عميقًا هي ثورة أحمد بن معاوية بن هشام الأموي المعروف بالقط الثائر سنة ٢٨٨ (٩٠١) [٣].

ومرة أخرى نرى هذه الدعوة تجد آذانًا صاغية بين القبائل البربرية في نفس المنطقة التي انتشرت فيها الدعوات الشيعية من قبل، أي منطقة (الجوف) على طول الثغر الأدنى والحدود بين المملكة الإسلامية والمملكة المسيحية: ما بين ماردة ووادي الحجارة، ولكن هذه الثورة التي وجهت بعد ذلك للجهاد ضد المسيحيين في إسبانيا سرعان ما تحطمت على أسوار سمورة (Zamora)

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٤٤.
(٢) أعمال الأعلام: ٣٦.
(٣) راجع Levi Provencal: Histoire...I 338 - 385 . وما أورده من مراجع.

على يد ألفونسو الثالث ملك أشتوريش (Asturias).

وعلى الرغم من أن قائد هذه الثورة كان أحد أفراد البيت الأموي إلا أن اللون الفاطمي كان واضحًا فيها كل الوضوح كما سنبين:

١ - فأمامنا أولا تسميته (بالمهدي) ويضيف ابن حيان أنه كان يسمى أيضًا (فائز الدين وعاصم المسلمين) [١] وهى ألقاب لم نسمعها قبل في الأندلس، وإن كانت في المشرق شائعة بين فرق الشيعة على الخصوص.

ويقصد بالمهدى عندهم: الإمام المنتظر الذي يملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورًا [٢].

وهذا هو نفس اللقب الذي اتخذه عبد الله بن الحسين الفاطمي أول أئمة دور الظهور في شمال إفريقية، وذلك بعد ابن القط بثمانية أعوام سنة ٢٩٦ (٩٠٩).

وينبغي أن نسجل هنا أن (مهدي) هذه الثورة كان يشبه إلى حد بعيد (مهدي) الشيعة الإسماعيلية أي إنه إنسان يجرى عليه ما يجرى على البشر من حياة أو موت، وهذا بخلاف الشيعة الاثنا عشرية الذين يعتقدون أنه لم يمت، بل هو حي يرزق اختفي في سرداب وأنه يظل كذلك حتى يظهر مرة أخرى حين تستدعى الأحوال ظهوره [٣].

٢ - ثم هناك الاهتمام الكبير بأن يكون لهذا الإمام (داع) ذو شخصية قوية ينظم الأمر ويجمع له الأنصار، وكما كان داعي الإسماعيلية في المغرب أبا عبد الله الشيعي كان داعي المهدي الأندلسي أبا على السراج الذي تقلد له الأمر ونشر الدعوة معتمدًا على نقباء بثهم في صفوف القبائل البربرية كما كان الشيعي يعتمد كذلك على طائفة كبيرة من الدعاة الذين كانوا يسمون (النقباء) أيضًا.

وقد صور ابن حيان لنا مدى ما كان يتمتع به هذا الداعي من احترام بين

---

(١) ابن حيان: المقتبس ١٢٢.
(٢) راجع ما كتبه أحمد أمين عن عقيدة المهدية عند الشيعة: ضحى الإسلام ٢٢٦/٣ ٢٣٦أ.
(٣) كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ١٢.

أنصاره الذين كادوا يقدسونه.

وتبدو لنا فكرة الداعي وطبقات النقباء بعده منقولة عن نظم الإسماعيلية التي جعلت لـ (داعي الدعاة) مركزًا كبيرًا يلي رتبة الإمام واهتمت بإحكام طبقات الدعاة اهتمامًا لم تعرفه حركة سرية من قبل (١).

٣ - وكان الاعتماد على الكرامات وإظهار الإحاطة بالعلوم من الأشياء التي حاول المهدى الجديد أن يؤثر بها على أنصاره من البربر، ويذكر أنه كان يتكهن لهم ويصطنع حيلاً من الشعوذة يوهمهم أنها كرامات له.

وكان هذا من الوسائل التي اصطنعها الداعي لجذب الأنصار إليه أول قيامه بالمغرب (٢).

ولعل هذه الثورة التي أشرنا إليها هي آخر المحاولات المسلحة لإقامة دولة على أسس شيعية في الأندلس.

وقد انقطعت هذه الثورات بطبيعة تغير الموقف السياسي الداخلي بعد ذلك. ونعنى بهذا عودة الخلافة الأموية إلى السيطرة القوية على الأندلس منذ أيام عبد الرحمن الناصر، فلم يكن هناك مجال يتسع لثورات من هذا القبيل إلى انتهاء دولة بني مروان وانقراضها فظهرت على مسرح السياسة من جديد الدعوة العلوية الحمودية وأقامت دولة لها كيان.

على أن هذا لم يمنع تسرب بعض الثقافة الشيعية إلى الأندلس في أيام الخلافة عن طريق احتكاكها المتواصل بالشيعة كما سنبين.

* * *

---

(١) كامل حسين: نفس المرجع ٢٠.

(٢) ابن عذارى: بيان ١/٢٢١ وراجع ما كتبه ابن حزم عن استخدام الفاطميين لهذه الوسائل في الفصل ٥/٨.

٢ - نقل الثقافة الشيعية إلى الأندلس

وقد دخل التشيع الأندلس عن طريقين:

أولهما: الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق وأخذوا بقليل أو كثير من الثقافة الشيعية لا سيما في العراق أو مصر أو المغرب.

وثانيهما: بعض المشارقة الذين باشروا نشاطًا دعائيًا في الأندلس أو قاموا بدور التجسس لمصلحة مواليهم الشيعة.

رحلة الأندلسيين للمشرق وأثرها في ذلك:

ويبدو أن أول من نقل شيئًا من الثقافة الشيعية إلى الأندلس هو محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى (ت٢٢١) [١]، وقد رحل في سنة ١٧٩ فذهب إلى العراق مخالفًا بذلك زملاءه الأندلسيين الذين كانوا في ذلك الوقت يترددون على المدينة للتفقه على مالك بن أنس وتلاميذه.

وقد كانت نتيجة دراسته في العراق أن نقل إلى الأندلس بعض كتب وكيع بن الجراح الذي كان من أكبر المحدثين الشيعيين، وله كتب في الدفاع عن مبادئ الشيعة الزيدية[٢].

وقد عرض عليه القضاء في الأندلس فرفض وكان يذكر فضل على بن أبي طالب ويتخذه قدوته في حياته [٣].

وممن رحل إلى العراق بعد ذلك عباس بن ناصح الثقفي الشاعر الذي أوفده عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠١ في التماس الكتب القديمة [٤]، وقد كان رفيقًا

---

(١) ابن الفرضي: ت ١١٠٠.
(٢) الشهر ستاني: الملل والنحل ٢/٢٦.
(٣) الخشني: كتاب القضاة بقرطبة ١٠، ١١.
(٤) ابن سعيد: المغرب ٤٥ ويقصد بالكتب القديمة الكتب التي تتناول العلوم المختلفة من طب ونجوم ... إلخ.

في رحلته وحياته الدراسية في المشرق ليونس بن إلياس البرغواطي الذي طلب علم النجوم والكهانة والجدل، ثم عاد إلى بلاده ليحيي الديانة البرغواطية وهي ديانة تستمد أكثر أصولها من التشيع [١].

على أن أمثال هؤلاء لم يجاهروا بنزعة شيعية صريحة وإن نقلوا بعض ألوان التفكير الشيعي.

ولكن انتشار الدعاية الفاطمية في نهاية القرن الثالث جعل بعض العلماء الأندلسيين يعتنقون هذا المذهب، ومن هؤلاء محمد بن حيون الحجارى (ت٣٠٥) الذي لم يكن يذهب مذهب مالك وكان معاصروه يتهمونه بالتشيع [٢]، ولكن يبدو أنه كان حريصًا على كتمان مذهبه حتى لا يتعرض للاضطهاد من جانب الفقهاء وعملا بمبدأ التقية الذي كان أصلا من أصول التشيع.

وهكذا ألم الأندلسيون بشيء عن الشيعة ومبادئهم وفرقهم ولكنه كان شيئًا ضئيلا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد تدخلت الدولة في الأمر إذ كان من مصلحة الحكومة الأموية أن يفهم التشيع على أنه مجموعة من الضلالات والبدع لا تتفق مع ما يجب أن يكون عليه المسلم الصحيح من سير بمقتضى السنة وابتعاد عن محدثات الأمور.

ولعل مما يمثل نظرة الأندلسيين المثقفين إلى التشيع ومدى ما كانوا يعرفونه منه ما ورد عنه في كتاب أبي عمر أحمد بن عبد ربه المشهور (ت ٣٢٨) (العقد الفريد) [٣].

---

(١) تتفق هذه الديانة في كثير من مبادئها مع بعض فرق الشيعة مثل قولها بخروج المهدى آخر الزمان والرجعة والأئمة السبعة وغير ذلك - راجع ما كتبه عنها ابن عذارى ٣٢١/١ واللاوى في الاستقصا ٥١/١-٥٢.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ ب.. ت: ١١٦ والحميدى: جذوة ب. ت ١٥.

(٣) عن كتاب العقد راجع البحث القيم الذي كتبه جبرائيل جبور في مجلة الشرق (١٩٣٢ - ١٩٣٣) وكذلك Nykl: Hispano - Arabic poctry pp. 35 - 36.

تصوير الشيعة في كتاب العقد الفريد:

وقد أفرد المؤلف من كتابه فصلاً لأصحاب الأهواء تكلم فيه ببعض التفصيل عن الشيعة وفرقهم [١] فهو يتناول بعض العقائد الغريبة التي دانت بها فرق شيعية متطرفة كالسبئية والمغيرية والمنصورية ويأتي ببعض نصوص شعرية لكُثيّر عزة والسيد الحميرى وغيرهما في تأييد مذاهبهم.

ثم يأتي بكثير من أقوال العلماء في ذم الشيعة والتبرؤ من عقائدهم والمقارنة بينها وبين العقائد اليهودية.

وتلاحظ أنه يكثر الرجوع إلى كتاب ابن أبي شيبة [٢] ويعتمد كذلك على ابن قتيبة [٣] مما يجعلنا نرجح أن كثيرًا مما ذكره ابن عبد ربه قد عرف من قبل عن طريق هذه الكتب المشرقية.

والذي نلاحظه أن ابن عبد ربه لا يذكر لنا شيئًا مطلقًا عن التشيع الإسماعيلي الذي كان في وقت تأليف كتابه (٣٠٠-٣٢٢) قد ملأ شمال إفريقية منذ سنة (٢٩٦) حيث استطاع أن يزيل دولة الأغالبة السنية ويقيم الدولة الفاطمية العبيدية.

هذا على الرغم من أن كثيرًا من تعاليم الشيعة تسرب حينئذ إلى الأندلس نفسها.

وربما كان إضراب ابن عبد ربه عن ذلك تمشيًا مع السياسة التي رسمها

---

(١) العقد الفريد ٢/٤٠٣ - ٤١١ (ط القاهرة ١٩٤٠).

(٢) قدم بهذا الكتاب من المشرق بقى بن مخلد القرطبي في نهاية أيام الأمير محمد (توفي ٢٧٣) وقد أثار عليه فقهاء قرطبة لما جاء فيه من (الاختلاف) حتى أوشكوا على تكفيره لولا أن حماه من ذلك الأمير محمد نفسه - ابن الفرضي ت ٢٨١.

(٣) لعل ابن عبد ربه اعتمد على كتابه (المعارف) الذي يعتبر موسوعة في تاريخ الأديان والفرق والمذاهب وقد نقل هذا الكتاب إلى الأندلس في فترة مبكرة وأهم من له فضل إذاعة محمد بن عبد السلام الخشنى (توفي ٢٨٦) وهو من أساتذة ابن عبد ربه ومن المعاصرين له: محمد بن موسى الاقشتين وقاسم بن أصبغ البياني (توفي ٣٣٧).

لكتابه، وهي الاهتمام بالمشرق قبل كل شيء وتقديمه على كل ما يتصل ببلده أو بالمغرب على وجه العموم، أو لعله رأى أن الإشارة إلى مبادئهم في كتابه ربما كانت وسيلة غير مباشرة لنشرها وهو ما لم تكن تقره سياسة الدولة الأموية في الأندلس.

راي في تشيع ابن عبد ربه:

وتعرض لنا هنا مسألة عرضت من قبل للأستاذ جبرائيل جبور في بحثه الذي أشرنا إليه وهي تشيع ابن عبد ربه [1] فقد رأى الأستاذ الباحث أن ابن عبد ربه متشيع معتدل، وقال إنه ليس من الغريب أن يكون مولى للأمويين ومتشيعًا فكذلك كان أبو الفرج الأصبهاني وأن مظاهر تشيعه ذكره علي بن أبي طالب مشفوعًا بـ (رضي الله عنه) وذكره وجهة نظر العلويين في النزاع بين علي ومعاوية. وقوله عند الكلام عن يزيد بن معاوية: (لا رحمه الله) وهي مظاهر رآها الباحث كافية لإثبات اتجاه ابن عبد ربه الشيعي.

ونحن نرى أن ابن عبد ربه لم يكن متشيعًا على الإطلاق وأنه فضلاً عن كونه مولى للأمويين فقد كان مرتبطًا بسياسة الدولة الأموية ارتباطًا شديدًا، ونظرة إلى الحالة السياسية في هذا الوقت (٣٠٠-٣٢٢) تجعلنا نؤكد أن الدولة لم يكن لتسامح مع مؤلف شيعي النزعة لا سيما إن كان كاتبًا له شهرته ومكانته كابن عبد ربه وفي الوقت الذي توترت فيه العلاقات بين حكومة قرطبة الأموية وحكومة القيروان الفاطمية.

ولا ننسى أن في هذه الفترة (في ٣١٦ = ٩٢٩) أعلن عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة للمسلمين وأميرًا للمؤمنين معلنًا أن كل من ادعى هذا اللقب غيره فهو منتحل له ودخيل فيه متسم بما لا يستحقه منه [2].

---

(١) المقالة السادسة من البحث المذكور.

(٢) راجع البيان الرسمي الذي أذاعه عبد الرحمن بهذه المناسبة Levi - proveucil y Garcia Gomez: Una cromca anenima...p.79

ولا ريب أنه يعنى بهذا التعريض العباسين والفاطميين معا بل إن العداوة بين الدولتين المختلفتين في المذهب وصلت إلى حد التدخل العسكري السافر فنجد عبد الرحمن في ٣١٩ (٩٣١) يحتل سبتة من أرض المغرب وتخطب له مساجدها متحديًا الفاطميين بذلك في صراحة[١].

ولا ريب أن كاتبًا كان ينطق بلسان الأمويين حينئذ ما كان باستطاعته ولا من مصلحته أن يكون متشيعًا في هذه الظروف. ثم إن ابن عبد ربه لو كانت له مثل هذه النزعة لما تردد خصومه الكثيرون في اتهامه بها كما اتهموا ابن حيون الحجارى من قبل وما كان ليغفلها من ترجموا له.

أما ما يذكره الباحث من ترحمه على علي أو ثنائه عليه ولعنه ليزيد فما كان هذا يستغرب من أي مسلم سني.

وحتى هذه العبارات أظنها من زيادات النساخ الذين كانوا يلذ لهم أن يقحموها تقربًا إلى الله.

وقد لاحظ الباحث نفسه أن (العقد) قد زيد فيه الكثير بعد موت صاحبه[٢].

على العكس كان ابن عبد ربه أمويًا سنيًا متعصبًا يكره الخروج على الجماعة وتناوله لفرق الشيعة نفسه وعرضه لبعض أقوالهم إنما يدل على كراهيته لها وعدم اقتناعه بها وسخريته منها، وليس فيها ما يدل على أي ميل شيعي.

وقد احتفظ لنا ابن الفرضي[٣] بقصيدة لابن عبد ربه يحمل فيها حملة شديدة على كل مذهب يخالف السنة والجماعة، ولندع هذه النقطة لتفصيل أكثر

---

(١) Levi Provencal: Histoire...II 96 -97

(٢) المقالة التاسعة من البحث وأول من أشار إلى هذه المسألة t. Noldeke في Die Ghassanischen Fursteu aus dem Hause Gafna على هامش ص٥٥.

(٣) في ترجمة مسلم بن أحمد الليثي المعروف بصاحب القبلة رقم ١٤١٨ وانظر كذلك صاعد الطليطلي: طبقات الأمم ص٨٦، ٨٧.

حين نتعرض لرد الفعل الأموي ضد التشيع.

ابن مسرة القرطبي:

وأما بشأن ما تسرب إلى الأندلس من العقائد الباطنية في ذلك الوقت فقد تكلم عنه آسين بلاثيوس في بحثه القيم عن (ابن مسرة ومدرسته).

ونود أن نشير هنا إلى أن ابن مسرة (ت ٣١٩/ ٩٣١) قضى فترة من حياته الدراسية في القيروان [١] في الفترة التي بلغ نشاط الدولة الفاطمية الفتية أوجه من الناحية السياسية والدعائية.

وقد نبه المستشرق الإسباني الكبير إلى أن هناك آراء لابن مسرة كانت تستوحى من تعاليم الباطنية مثل قوله إنه من الممكن اكتساب النبوة وإنها ليست اختصاصًا أصلا، وقد رد آسين هذا الرأي إلى فكرة المهدى عند الباطنية وقد قاربوا به مرتبة النبوة [٢].

وأنا أرى كذلك أن رد ابن مسرة تدبير العالم إلى (العرش [٣]) لا يخلو من التأثر بعقيدة الإسماعيلية في ذلك [٤] هذا إلى طائفة كثيرة من التعاليم التي أخذها ابن مسرة عن الأفلاطونية الحديثة أو من المدارس الاعتزالية عن طريق الباطنية.

وقد استمر تلاميذ ابن مسرة متأثرين بهذه الآراء وظلت آثارهم واضحة فيمن تلاهم من مفكري الأندلس ومتصوفتها.

غير أن الدولة رأت أن أمثال هؤلاء المفكرين الذين يتجهون اتجاها باطنيًا إنما

---

(١) ابن عذارى: بيان ١/٢٧٥ وراجع كذلك:
Asin palacios: Ibn Masarra p .45.

(٢) Asin Palacios: op .cit. pp.109 y sigts

(٣) ابن حزم: الفصل ... ٤/١٩٩.

(٤) اختلفت الفرق الإسلامية في تأويل (العرش) في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقسره أهل السنة بظاهر اللفظ من أنه العرش أو سرير الملك وأما المعتزلة فقالوا إنه يقصد به الملك وذهب الإسماعيلية إلى أن العرش إنما هو العقل الأول والمبدع الذي صدرت عنه المخلوقات - راجع كامل حسين: ديوان المؤيد داعي الدعاة ١١٦.

يكون خطرًا حقيقيًا على الدولة إذ أنهم كانوا من ناحية عاملاً من عوامل التفكك المذهبي.

ومن ناحية أخرى فإنهم ربما كانوا أدوات - ولو من طريق غير مباشر- للسياسة الفاطمية التي كانت تطمع في تحطيم دولة بني أمية.

منذر بن سعيد البلوطي:

وبرغم ذلك فقد كان هناك من المفكرين من نزع إلى اتجاه شيعي معتدل دون أن يكون خطرًا يهدد الدولة، ومن أمثلة هؤلاء منذر بن سعيد البلوطي (ت٣٥٥) الذي وصل إلى منصب قاضي الجماعة بقرطبة.

وقد خالف منذر جمهور علماء عصره كذلك في مذهبه الفقهي فبينما كانت الدولة تدين بمذهب مالك نراه هو ينزع إلى المذهب الظاهري ويؤلف في الدفاع عنه كتبًا، على أنه كان حريصًا برغم ذلك على احترام وحدة الدولة من الناحية المذهبية فكان إذا جلس للقضاء لا يحكم إلا بمذهب مالك [1].

وهذا ما يجعلنا نعتقد أن منذرًا لم يحاول أن يفرض تشيعه على الناس بل احتفظ به لنفسه ولم يجعل له أثرًا في حياته الرسمية إذ كان يتولى أكبر المناصب بعد الخليفة.

اما مصادر تشيع منذر فمن الممكن ان نردها الى ثلاثة:

اولا: أصله فإنه كان بربريًا ينتسب إلى قبيلة نفزة [2].

وثانيا: أسرته فالذي بقي من الأخبار عن عائلة منذر يدل على أنها اعتنقت مبادئ شيعية منذ زمن طويل وقد كانت قبيلته نفزة أول من آمن بدعوة ابن القط وقام بنصرته سنة ٢٨٨ [3].

وهو يذكر أن خاله كان من أتباع هذا المهدي وكان ممن حضر وقعة سمورة

(١) المقري: نفح ٢/٢٢٨.
(٢) ابن حزم: جمهرة ٤٦٥.
(٣) ابن حيان: مقتبس ١٣٤.

معه.

وقد نقل ابن حيان عن منذر بن سعيد طائفة من الأخبار الطريفة عن هذه الثورة رواها منذر عن بعض قرابته [١].

وثالثًا: البيئة التي عاش فيها فقد قضى منذر جل حياته في منطقة (الجوف) وتولى القضاء بماردة وما والاها من المدن ثم تولى هذا المنصب بالثغور الشرقية [٢].

وقد رأينا أن هذه البيئات كانت أكثر بلاد الأندلس صلاحية للمبادئ الشيعية وربما أضفنا إلى هذا الثقافة التي تلقاها في المشرق فنحن نعلم أنه درس مع أبي بكر بن المنذر النيسابوري في مكة كتابًا يتناول الفرق الإسلامية واختلافها وهو (كتاب الأشراف) الذي ربما عالج تعاليم بعض فرق الشيعة فلقيت هذه التعاليم من نفس منذر رغبة وهوى.

وقد بدا تشيع القاضي القرطبي في مظاهر مختلفة: نذكر من أولها هذه الحكاية التي ذكرها ابن الأبار [٣] ونقلها عنه المقري [٤] ويقول راويها وهو أبو عبيد القاسم بن خلف الجبيري: إن أباه استضاف بطرطوشة منذر بن سعيد إيام ولايته للثغور الشرقية وذلك قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة [٥] فكان منذر إذا تفرغ نظر مكتبة مضيفه، فمر على يديه يومًا كتاب فيه أرجوزة لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء الراشدين ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليًا فيهم ثم وصل بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد.

فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب:

---

(١) ابن حيان: مقتبس ١٣٧.
(٢) ابن القرطبي: تاريخ ب. ١٤٥٢.
(٣) تكملة: ص ٤٤.
(٤) نفح: ٣/٢٦٧.
(٥) ولي منذر قضاء الجماعة من سنة ٣٣٩ إلى سنة ٣٥٥، الخشني كتاب القضاة بقرطبة ص٢٠٦.

أوَمَا علي - لا برحت معلنًا يا بن الخبيثة - عندكم بإمام؟
رب الكساء وخير آل محمد داني الولاء مقدم الإسلام

ومظهر آخر من مظاهر تشيع منذر هو:

في ما نقل عنه من آراء عمد فيها إلى تأويل القرآن تأويلات غريبة تعرض ابن حزم بعد ذلك بقرن لتفنيدها والرد عليها (١).

وقد تأثر في ذلك بالتأويلات الباطنية التي أكثر منها الشيعة وأصبحت من أهم ما يميزهم، وربما كثر لذلك دوران كلمات الظاهر والباطن في كلامه وقد حفظ لنا النباهي منه جملة صالحة (٢).

ولعل هذه النزعة هي التي جعلت مؤرخًا سنيًا متحرجًا هو ابن الفرضي يقول في ترجمته إنه كان ينحل في اعتقاده أشياء الله مجازيه بها ومحاسبه عنها.

الدعاة الفاطميون وأثرهم:

أما المشارقة الذين كانوا يقدمون إلى الأندلس بقصد الدعاية الشيعية فإنهم كانوا يسترون أهدافهم الحقيقية بستار من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم أو السياحة الصوفية.

والواقع أنه في نهاية القرن الثالث وأثناء الرابع انتشر جواسيس الفاطميين في جميع أنحاء الأقطار الإسلامية وربما كانت الدعوة الإسماعيلية خير دعوة استغلت سلاح الجاسوسية بمهارة وإحكام منقطعي النظر.

وكان الفاطميون في المغرب يجسون النبض ويترقبون للهجوم إما شرقًا نحو مصر أو شمالا نحو الأندلس ولهذا دخل كثير من عيونهم وجواسيسهم إلى الأندلس ليعملوا على استطلاع أحوالها وتعرف مداخلها ومواطن الضعف فيها

(١) ابن حزم: فصل ٤/٧٢ من ذلك كلامه عن الجنة والنار وعن عصيان الأنبياء وله في هذه المسألة رأى قريب من رأى الإسماعيلية الذي يؤول خطايا الأنبياء تأويلا يتفق وما يرونه من عصمتهم- راجع كامل حسين: ديوان المؤيد داعي الدعاة ص ١٣٤ وما بعدها.
(٢) تاريخ قضاة الأندلس ٧٤.

ودراسة نظمها السياسية والاقتصادية والدينية ثم بث دعايتهم بقدر ما وسعهم.

ابو اليسر الرياضي:

ويبدو أن من أول الجواسيس المشارقة في الأندلس شاعرًا مغامرًا هو أبو اليسر الرياضي وليس هناك عنه أخبار مفصلة ولا في المراجع - ما يصرح بأنه كان جاسوسًا [(١)] ولكن ما بقى من أخباره يحملنا على ترجيح هذا الرأي.

ويذكر صاحب (أخبار مجموعة) أنه أديب محتال دخل الأندلس في أيام الأمير محمد مفتعلا كتابًا على لسان أهل الشام يستدعون فيه للدولة المروانية الأندلسية ويعرضون الخطبة لها في بلادهم، ولكن يبدو أن الأمير محمدًا فطن إلى أغراضه الخفية ولكنه احتفى به وأكرمه دون أن يمكنه من مباشرة نشاطه[(٢)]، فاضطر إلى مغادرة الأندلس وذهب إلى مصر ولعله استمر يبث دعايته الفاطمية هناك حتى (وقع صاحبها على خبره فأمر بحبسه)[(٣)] وكان يحكم مصر حينئذ أحمد بن طولون الذي يتوجس خيفة من الدعوات الشيعية لا سيما وأنه قاسي كثيرًا من ثوراتهم المتوالية في مصر. ولسنا نعرف كيف تخلص أبو اليسر من سجنه إلا أننا نراه بعد ذلك في القيروان متوليًا على الكتابة في أيام إبراهيم بن أحمد الثاني وعبد الله الثاني ابنه ثم لزيادة الله الثالث آخر ملوك الأغالبة وتولى للأخير إلى جانب الكتابة بيت الحكمة [(٤)].

فلما سقطت دولة الأغالبة (٢٩٦/ ٩٠٨) وقبض عبيد الله المهدي على

---

(١) يلاحظ أنه لما كانت مهمة هؤلاء الجواسيس سرية فإنه بطبيعة الحال لم تحتفظ لنا المراجع بأخبار وافية مفصلة عنهم.

(٢) أخبار مجموعة ١٤٦ .

(٣) أخبار مجموعة ١٤٧ ويمكن أن أقول إن القبض على أبي اليسر في مصر يجب أن يكون قد وقع قبل سنة ٢٦٤ وهى السنة التي مات فيها الفقيه المزني الذي كان له فضل تخليص بعض الأندلسيين ممن قدموا لزيارة أبي اليسر في سجنه.

(٤) المقري: نفح ... ١٣١/٤.

ناصية الأمر استمر أبو اليسر على الكتابة له [١]، وربما كان هذا مكافأة له على خدماته السابقة، وقد نص ابن عذارى على أن أبا اليسر كان من وجوه دعوة أبي عبد الله الشيعي وقد رافقه في الحملة التي سيرها الداعي الفاطمي لتخليص الإمام عبد الله المهدي من سجن بني مدرار وذلك بعد افتتاحه القيروان [٢] .

وقد استمر الرياضي في خدمة عبيد الله المهدي حتى مات سنة ٢٩٨/ ٩١٠ وإذا كان أبو اليسر الرياضي لم ينجح كل النجاح في مهمته السياسية في الأندلس فلا ريب أنه استطاع أن ينقل إلى هذه البلاد بعض الثقافة الأدبية الشيعية، فقد أدخل في الأندلس شعر أبي تمام وكذلك شعر دعبل الخزاعي الذي كان من أهم ألسنة الشيعة في المشرق، هذا إلى كثير من رسائل الكتاب العباسيين المحدثين، وله مؤلفات أذاع بعضها في الأندلس [٣] منها مؤلف في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه، ولا نستبعد أن يكون قد اتجه فيه اتجاهًا يلائم الدعوة التي كان ينتسب إليها.

ابن هارون البغدادي:

وقد استعان الفاطميون بعد موت أبي اليسر بجاسوس آخر هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، ويذكر ابن الفرضي أنه تردد بالأندلس أعوامًا، وينقل عن سليمان بن أيوب صراحة أن دخول ابن هارون كان بقصد التجسس [٤]، ويظهر أن هذا الجاسوس وفق فيما لم يوفق فيه الرياضي من قبله، إذ أن عريب بن سعد يقول: إن عبيد الله المهدى استكتبه بعد أبي اليسر واستعان به على أمر دعوته، فكان له في ذلك رأى جميل ونفع عظيم [٥]، ويبدو

---

(١) ابن عذارى: بيان ١/٢٢٤-٢٢٥.
(٢) ابن عذارى: بيان ١/٢٠٩.
(٣) المقري: نفح ٤/١٣٠.
(٤) ابن الفرضي: تاريخ ب ت١٩٩.
(٥) ابن الأبار: تكملة ت١٠٤٩.

أنه لخبرته بأمور الجاسوسية ودربته عليها ولاه عبيد الله المهدي (٣٠٠/ ٩١٣) فضلا عن الكتابة ديوان البريد الذي كان له أهمية كبرى في الدولة الفاطمية فلم يزل يتولى هذا المنصب حتى مات [١].

وقد كان ابن هارون يباشر سلطات واسعة فقد كان هو الذي يولى على القضاء والوثائق في شتى أقاليم الدولة الفاطمية حتى كانت زيادة نفوذه مما شكا منه بعض كبار الموظفين [٢]، على أن ذلك لم يحد من سلطانه، بل إن عبيد الله المهدي حين مات (سنة ٣٢٢/ ٩٣٣) وولى بعده ابنه القائم أقر أبا جعفر على جميع أعماله من بريد وكتابة، وفوض إليه كثيرًا من أعمال المملكة [٣].

أما نشاط أبي جعفر البغدادي فلا نعرف بالتفصيل مدى توفيقه في دعايته السياسية والمذهبية، وإن كان يبدو أنه أفاد مواليه الفاطميين بمعلومات على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بأوضاع الأندلس الاجتماعية والدينية، وذلك بدليل أنهم عهدوا إليه بأكبر مناصب دولتهم، على أننا نعلم شيئًا عن نشاطه الثقافي وذلك لأنه دخل الأندلس متسترًا بغرض العلم، ولا ريب أن الثقافة كانت تكوّن كذلك جزءاً مهمًا من برنامج الدعوة الفاطمية، وإلى أبي جعفر البغدادي يرجع فضل نشر كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ [٤]، وكذلك كتب ابن قتيبة.

وقد نبه الأستاذ أسين بلاثيوس إلى فضل ابن هارون في إذاعة تعاليم الشيعة الفاطميين وكذلك المعتزلة في نفس الوقت [٥].

---

(١) ابن عذارى: بيان ١/٢٣٤.

(٢) نفس المرجع: ١/٢٩٠.

(٣) نفس المرجع: ١/٢٩٦.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ ب ت١٩٩ وقد ورد اسم الجاحظ في النص هكذا ب عمرو بن بحر الحافظ (؟) وهو تحريف- وبهذه المناسبة نذكر أن للجاحظ رسائل كثيرة في الإمامة على مذهب الشيعة، وكثيرًا من الكتب تتناول الخلاف بين آراء أهل السنة والطوائف الشيعية، وربما كانت هذه الكتب أدوات صالحة للدعاية الفاطمية التي كان يقوم بها المذكور

(٥) Asin palacios: Ibm Masarra...p.28 y apendice II no.2.

ويجب أن نشير هنا إلى ما بين الفاطميين والمعتزلة من صلة وثيقة في بعض نواحي تفكيرهم، وإلى أن الاعتزال يعتبر خطوة ممهدة للدخول في المذهب الإسماعيلي.

ابن حوقل النصيبي:

ومن الجواسيس الفاطميين الذين قاموا بدور مهم في الأندلس- ابن حوقل النُّصيبي (ت ٣٦٧/ ٩٧٧)، دخل الأندلس متسترًا بالتجارة على ما يبدو [١].

ويذهب دوزى (Dozy) إلى أنه دخل ليستطلع أحوال الأندلس ولدراستها لمصلحة مواليه الفاطميين، وذلك حينما كانوا يفكرون في توجيه ضربتهم إلى هذه البلاد [٢].

ولعل هذا هو ما يفسر اهتمامه بصفة خاصة بتسجيل دخل الدولة ومواردها الاقتصادية وتعداد خيراتها، ووصفه طرقها ومسالكها، ثم أحوالها من الناحية العسكرية، كل ذلك اهتم ابن حوقل ببيانه في دقة تستوقف النظر، وقد حاول في كتابته أن يقنع الفاطميين بضرورة فتح الأندلس لكثرة خيراتها من ناحية ولضعف أهلها عن الدفاع عنها من ناحية أخرى [٣]، ولكن يظهر أن مشروعه لم يظفر بالتأييد من جانب الحكومة الفاطمية.

مدى نجاح الدعاية الفاطمية:

على أية حال كان نجاح الدعاية الفاطمية في اجتذاب أنصار لها من الأندلس محدودًا جدًا، وذلك لما كان للمذهب السني من قوة متأصلة، وإن كان ذلك لا يمنع من القول بأنهم أفلحوا في ضم بعض رجال الفكر إلى صفهم.

ومن أمثلة هؤلاء:

ابن أبي المنظور الذي ولي القضاء لإسماعيل المنصور ثالث الخلفاء

---

(١) يسميه ياقوت: (التاجر الموصلي) - معجم البلدان ٣٤٨/١.

(٢) R. dozy: Histore des musulmans d'Espagnc,II,p. 125

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ١٠٨-١١٧.

الفاطميين (٣٣٤-٣٤١/ ٩٤٥-٩٥٢)[1].

وربما كان من ثمرات دعاية الفاطميين شاعر إلبيرى قضى فترة شبابه في الأندلس، ثم طرد منها حين عرف اتجاهه الفاطمي، وهذا هو ابن هانئ الأندلسي (ت٣٦٢/ ٩٧٢) الذي التحق بخدمة المعز لدين الله الفاطمي، ثم صار الشاعر الرسمي لدعوة الشيعة العبيدية، ويعتبر شعره وثيقة هامة تطلعنا على نظريات الإسماعيلية في مختلف شئون الدين والعقيدة[2].

٢ - رد الفعل الأموي ضد التشيع

تشجيع المذهب السني في الأندلس:

ولكن الأمويين لم يكونوا ليقفوا مكتوفي الأيدي من الدعوات الشيعية التي ظلت تلح على الأندلس إلحاحًا شديدًا، فوقفوا منذ اللحظة الأولى موقفًا عدائيًا صارمًا، وواصلوا في الأندلس السياسة التي رسمها لهم أسلافهم في المشرق من المحافظة على المذهب السني والقضاء على كل نزعة تمت إلى التشيع بصلة ولكن كانت نزعتهم الأموية رغم ذلك معتدلة إلى حد ما، فلم يأمروا بلعن على ابن أبي طالب ولا أحد من أهل البيت على المنابر كما فعل الأمويون في المشرق، وقد كان عملهم حينذاك مما أثار عليهم أهل السنة المعتدلين الذي كانوا يرون لعلى من قرابته وفضله ما يلحقه بالخلفاء الراشدين، دون أن يدخلهم ذلك في زمرة الشيعة، وإننا نجد ابن حزم رغم نزعته الأموية القوية يعيب على خلفاء المروانيين في المشرق ما ارتكبوه من ذلك، بينما يعد من فضائلهم في الأندلس أنهم امتنعوا عن لعن السلف[3].

---

(١) ابن الأبار تكملة: ترجمة ٣٣٢.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٥، ٦ وانظر كذلك ابن الأبار: تكملة ت ٣٥٠.

(٣) ابن عذارى: بيان ٢/٥٩.

على أنهم كانوا يحاولون تجاهل فضائل عَلِيّ مع ذلك في بعض أوقات التوتر السياسي بينهم وبين الدول الهاشمية، ومن أمثلة ذلك ما يقصه الخشني في معرض الحديث عن اشتغال الأمير محمد (٢٣٨-٢٧٣/ ٨٥٢-٨٨٦) بمسالة تعيين قاض للجماعة في قرطبة، فيذكر أن الأمير رأى في المنام كأن النبي والخلفاء الراشدين يقدمون فيسلمون على رجل بعينه . . . إلى آخر القصة[1].

وجدير بالذكر أن الخلفاء الراشدين الذين رآهم الأمير الأموي كانو أبا بكر وعمر وعثمان، أما علي فقد أسقطه منهم.

وأدل على ذلك الأرجوزة التي ألفها ابن عبد ربه، وسرد فيها الخلفاء الراشدين فذكر أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، وقد رأينا كيف أثار هذا حنق منذر بن سعيد البلوطي حتى إنه لعن ابن عبد ربه ورد عليه[2].

ويذكر ابن الفرضي في ترجمة محمد بن أحمد بن قادم القرطبي (ت٣٨٠/ ٩٩٠) وكان من المحدثين المشهورين أنه سمعه غير واحد يطعن في على بن أبي طالب، وقد سمعه ابن الفرضي نفسه يتنقص الحسن بن على حفيد النبي.

كما يترجم ابن الفرضي لأحد الأمويين وهو ابن الأزرق الحصنى (ت٣٨٥/ ٩٩٥) وكان قد خرج من مصر (سنة ٣٤٣/ ٩٥٤) وصار إلى القيروان، فقبض عليه الشيعة وحبس بالمهدية أكثر من ثلاث سنوات، ووصل إلى الأندلس سنة ٣٤٩/ ٩٦٠، فأنزله الحكم المستنصر وتوسع عليه، وكان هذا الأموي محدثًا شارك بقدر ما وسع علمه في الحملة ضد الفاطميين، ويبرز ابن الفرضي بين ما

---

(١) الخشني: كتاب القضاة بقرطبة ١٤.

(٢) وقد شك الأستاذ جبرائيل جبور في نسبة هذه الأرجوزة لابن عبد ربه، وذلك تمشيا مع رأيه في أن هذا المؤلف كان متشيعًا (المقالة السادسة من البحث) وقال إن هذه الأرجوزة ربما كانت لأحد أبناء ابن عبد ربه أو أحفاده، وقد بينا فيما سبق الأسباب التي تحملنا على إنكار تشيع ابن عبد ربه وإثبات تعصبه للأمويين، ولا مانع مطلقًا من أن تكون الأرجوزة له، صنعها قاصدا كسب رضاء الأمويين في وقت اشتدت عداوتهم فيه لخصومهم التقليديين وليس هناك ما يؤيد جواز كون الأرجوزة لأحد أبناء ابن عبد ربه أو بعض قرابته.

رواه حديثًا في تكذيب ما يدعيه الشيعة في مسألة المهدى، يروى فيه عن النبي أنه لا مَهْدِيَّ إلا عيسى ابن مريم [١].

موقف الأمويين من يوم عاشوراء:

ومن الأشياء التي لها دلالتها في هذا الشأن موقف الأمويين من يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي في كربلاء (٦١/ ٦٨٠)، وهو يوم يعتبره الشيعة على اختلاف طوائفهم وفرقهم يوم حداد وحزن، وقد عمد غلاة أهل السنة إلى اعتبار هذا اليوم عيدًا يظهرون فيه الفرح ويتوسعون في الأطعمة، وذلك مكايدة للشيعة وشماتة بهم، وقد اخترع كل فريق من الأحاديث التي أجروها على لسان النبي ما يؤيدون به آراءهم.

أما في الأندلس فقد اتجهوا كما هو سننتظر اتجاه الغلاة من أهل السنة، وتُروى لعبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨/ ٨٤٢) كبير فقهاء قرطبة في أيام عبد الرحمن الأوسط- أبيات يخاطب بها الأموي يقول فيها:

لا تنس – لا ينسك الرحمن – عاشورا ... واذكره، لا زلت في التاريخ مذكورًا

قال النبي – صلاة الله تشمله- ... قولا وجدنا عليه الحق والنورا:

فيمن يوسع في إنفاق موسمه ... ألاَّ يزال بذاك العام ميسورًا [٢]

وهكذا نراه يحض الأمير على الاحتفال بهذا اليوم ناظمًا بذلك الحديث الذي يستندون إليه في هذه المسألة.

* * *

(١) ابن الفرضي: ت ١٣٧٥.
(٢) المقري: نفح ٢/٢١٤.

تأصل التعلق بالأمويين في الأندلس:

وقد نجح الأمويون في أن يصبغوا الأندلس بلون أموي، واستطاعوا أن يوصلوا في نفوس شعبهم كراهية التشيع، واستمر ذلك طوال الوقت الذي كانت تحتفظ فيه الخلافة الأموية بقوتها ووحدتها [١]، وإذا كان بعض العقائد الشيعية قد تسرب في هذه الأثناء إلى الأندلس، فقد كان أثرها السياسي ضعيفًا، واستمرت الأندلس أموية متعصبة، وربما صور ذلك الطريقة التي تناول بها المؤرخون الأندلسيون المتقدمون تراجم من نُسِبَتْ إليهم آراء شيعية، فابن حيون الحجارى يُزَنُّ (أي يتهم) بالتشيع، ومنذر بن سعيد له معتقدات (الله مجازيه بها)، ويكتب المقدسي عن الأندلس في القرن الرابع، فيقول: إن الأندلسيين إذا عثروا على شيعي فربما قتلوه [٢].

وليس في هذا القول كثير من المبالغة.

وحتى ابن حزم [٣] على رغم اعتداله وتفضيله علي بن أبي طالب على معاوية، فإنه حين عرض للخلاف بينهما انتهى إلى صحة إمامة عَلِيّ وأنه أحق بالخلافة من الناحية النظرية، وأما موقف معاوية فإنه كان عن اجتهاد منه أخطأ فيه وهو مأجور على خطئه، فالنبي يقول: إن المجتهد إذا أخطأ فله أجر وإذا أصاب فله أجران [٤].

كما أنه يصحح إمامة معاوية من ناحية أخرى وهي:

---

(١) بل استمرت النزعة الأموية في الأندلس بعد ذلك بكثير، ويروى المقري بيتًا لأحد الأندلسيين يمثل رأيهم في معاوية (نفح٣/٤٠٩):

ومن يكن يقدح في معاوية   فذاك كلب من كلاب عاوية

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم ٢٣٦.

(٣) إنما اخترنا ابن حزم على رغم تأخر وفاته (٤٥٦/١٠٦٣) وذلك لأنه يمثل هذه المدرسة من المفكرين التي تم تكوينها ونضجها في أيام الخلافة الأموية.

(٤) الفصل: ٤/١٦٠، ١٦١.

أنه كان أعرف بالسياسة من علي، وهذا من شروط الإمامة، حتى وإن كان علي أكثر منه دينًا وفضلا [١].

وكما دافع ابن حزم عن شرعية الدولة الأموية في المشرق، ودافع كذلك عن شرعيتها في الأندلس بحرارة وإخلاص، مبينًا ما وصلت إليه الأندلس في أيامهم من ازدهار وعظمة [٢]، وكان يرى أن سقوط الدولة المروانية الأندلسية إنما هو بداية لنهاية الإسلام في هذه البلاد [٣].

ولعله لهذه النظرية وصفه ابن سعيد في ترجمته له بأنه كان متشيعًا لبني أمية منحرفًا عمن سواهم من قريش [٤].

الدعاية الأموية في المشرق وشمال إفريقية:

هذا هو ما كان يدين به الأندلسيون بوجه عام في أيام الخلافة، وقد تبع الاحتكاكَ القويَّ بين الدولة الأموية والدول الشيعية التي أحاطت بها منذ عهد بعيد أن حاول الأندلسيون نشر آرائهم بشتى الطرق بين هذه الشعوب الشيعية سواء في المشرق، أو في شمال إفريقية.

وقد اتخذ نشاط الأندلسيين مظاهر شتى:

مظاهر سياسية: حاولوا فيها أن يتصلوا بأنصارهم ويشعلوا الثورات ضد خصومهم الشيعة، ومظهرًا ثقافيًا كان يمثله العلماء الذين جندهم الأمويون للدفاع عن آرائهم السنية وإذاعتها.

ثورة أبي ركوة الأموي في برقة:

أما من الناحية السياسية فإنهم حاولوا إثارة الثورات في المشرق في وجوه بنى العباس والعلويين، وقد خصص ابن حزم في كتابه (نقط العروس) فصلا لمن

---

(١) نفس المرجع: ١٧١/٤.
(٢) Asin Palacios: Abenba = ain....I,p.93. راجع المقرى: نفح ٣٠٦/١
(٣) AsinPlacios: Aenba = ani... I,p.85.
(٤) المغرب: ٣٥٥.

خَطَبَ باسم بني أمية في المشرق [١]، ويهمنا من الثورات الأموية تلك التي قام بها أحد أفراد البيت الأموي ضد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله.

ويحدثنا المؤرخون أنه سنة ٣٩٥/ ١٠٠٥ خرج على هذا الخليفة في برقة ثائر يسمى الوليد بن هشام من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل وكان يلقب بأبي ركوة، وكان قد خرج من الأندلس مظهرًا التصوف واشتغل بتعليم الصبيان، ثم زعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته [٢].

ودعا على المنابر باسم الخليفة الأندلسي هشام المؤيد، وكان يلعن الحاكم بأمر الله وآباءه، واستولى على برقة وانتصر على جميع الجيوش التي وجهها إليه الحاكم، واستطاع في سنة ٣٩٧/ ١٠٠٧ أن يطارد الجيوش الفاطمية حتى أهرام الجيزة، ولكنه انهزم أخيرًا وأسر وعرضه الحاكم في شوارع القاهرة عرضًا مزريًا، ثم قتله وصلبه [٣].

وقد كانت نتيجة هذه الثورة أن أفرغ الحاكم غضبه على أهل السنة، فنقش سب الصحابة على جدران المساجد لا سيما الأمويين منهم.

وهذه الحركة - على رغم تأثرها بالثورات الشيعية - لا نستبعد أن يكون للعامريين أو لوسطائهم يد في تحريكها في قلب الدولة الفاطمية، لا سيما ونحن نعلم مدى مطامح المنصور بن أبي عامر الذي كان يرجو أن يمد سلطانه إلى المشرق فيصل إلى وادي النيل ويملك الشام والحجاز كما صرح في أبيات له [٤].

* * *

(١) نقط العروس: ٧٦.
(٢) المقري: نفح ٣/٤١١-٤١٢.
(٣) راجع في هذه الثورة كذلك ابن الأثير ٧/٢٣٤-٢٣٧، ابن تعري بردى: النجوم الزاهرة ٤/ ٢١٢، ابن خلكان: وفيات ١/١٢٦.
(٤) المقري: نفح ١/٣٨٣.

السياسة الإفريقية للخلافة الأموية:

وهناك الميدان الذي تنافست فيه سياستا الدولتين الفاطمية والأموية، وهو شمال إفريقية.

ولسنا نريد هنا تفصيل السياسة الإفريقية التي اتبعتها الدولة الأموية الأندلسية، أو مراحل التنافس والاحتكاك بينهما وبين الدولة الفاطمية[1]، ولكنا سنعرض لبعض آثار هذه السياسة في النشاط الدعائي والثقافي الذي باشره الأندلسيون في البلاد الخاضعة للنفوذ الفاطمي.

وينبغي أن نبين هنا أن الإمارة الأندلسية كانت تعمل منذ عهد بعيد على محاربة أسي دعوة شيعية في شمال إفريقية، فمنذ تكونت دولة الأدارسة الشيعية في المغرب الأقصى (١٧٢/ ٧٨٨) عملوا على توطيد صلاتهم ببعض الدويلات المغربية حتى ما كان يخالفها في الناحية المذهبية كدولة بنى رستم الخارجية في تاهرت، وذلك حرصًا على إضعاف جيرانهم الأدارسة العلويين.

وكانت لقرطبة كذلك بعواصم المغرب إلى جانب العلاقات السياسية - صلات أخرى أهمها التجارية، وإننا نلاحظ أنه في القرن الثالث الهجري بدأ الأندلسيون يتدفقون إلى السواحل الإفريقية وجزر البحر الأبيض، فنراهم يحتلون جزيرة اقريطش (كريت) بعد ثورة الربض، وهم يشاركون في فتح صقلية، ثم يبدأون غزو المغرب الأوسط فينشئون معظم ثغور هذا الجزء من إفريقية مثل تنس Tenes ووهران Oran وبونة Bona وبجاية Bujia ومرسى الدجاج[2].

---

(١) راجع في تفصيل سياسة الأمويين في إفريقية Levi Provencal Hostoire...II.86.110 وقد ترجم هذا الفصل إلى الإسبانية المستشرق الأستاذ E. Garcia Gomez في مجلة . Al. Andalus vo. xl. 1946

(٢) انظر Lovi.Provencal: Historia de Espana (trad.E. Garcia Gomez) P.223 y sigre.

وقد تبع هذا النشاط السياسي والتجاري بلا شك آثار ثقافية ظهرت بعد ذلك عندما استفحل النزاع بين الأمويين والفاطميين في شمال إفريقية.

الدعاية الأندلسية للمذهب السني في المغرب:

وقد ضاعف الأندلسيون نشاطهم حين ظهرت الدولة الفاطمية وتزايد اهتمام الخلافة القرطبية بالشئون الإفريقية وبدت آثار هذا النشاط في مظاهر شتى:

١ - كان لحكومة قرطبة عيون ووسطاء منبثون في جميع أنحاء المغرب[١]، وكان هؤلاء الجواسيس يوافون حكومتهم بما يهمها من أخبار هذه البلاد، وساعد هؤلاء في مهمتهم وجود جاليات أندلسية ضخمة في كل مدينة إفريقية تقريبًا.

ولم تكن هذه الجاليات - في الغالب - تحرص على مصلحة البلاد التي استوطنوها بقدر ما كانت تحرص على مصلحة البلد الذي كانت هجرتهم منه، كما أنها كانت شديدة التمسك بالعقيدة السنية التي كانت قد تأصلت في الأندلس[٢]، شديدة الكراهية للمذهب الشيعي إلى حد الاستماتة في قتاله.

ولعل هذا هو السبب الحقيقي الذي جعل حياة الدعوة الإسماعيلية لا تطاق في المغرب، فعزموا على إخلاء هذا الميدان والبحث عن مستقر آخر وجدوه أخيرًا في أرض مصر.

ويدلنا على هذا أن الفقهاء الأندلسيين هم الذين كانوا يحملون لواء المعارضة للفاطميين دائمًا.

ومن أول هؤلاء الفقيه القرطبي يحيى بن عمر (ت ٢٨٩/ ٩٠١)[٣] الذي استوطن القيروان العاصمة الأولى للدولة الفاطمية، وكان سنيًا شديد الحملة

---

(١) ابن سعيد: المغرب ١٨٠.

(٢) وربما أيد ذلك ما يقوله اللاوى من أن المذهب المالكي إنما انتقل إلى المغرب من الأندلس - الإستقصا: ٦١.

(٣) ابن الفرضي: تاريخ ب ت ١٥٦٦.

على البدع، وقد كان هذا الفقيه دائم الفخر بأنه أموي الولاء والمنزع [١].

ولهذا فقد كان الأندلسيون محل اضطهاد شديد من الفاطميين، ففي سنة ٣٠٠/ ٩١٢ قبض على أحد أبناء التجار الأندلسيين هو أبو جعفر بن خيرون، وكان من كبار أثرياء القيروان، وهو صاحب مسجد وعدة فنادق، ثم قتل، وذلك بسعي المروزي قاضي الشيعة [٢].

وفي سنة ٣٠٩/ ٩٢١ أمر عبيد الله المهدي بقتل الزاهد الشذوني وذلك لتفضيله بعض الصحابة على عليّ [٣]، ويذكر ابن الأبار أن عبيد الله المهدي كتب إلى سعيد بن صالح أمير نكور [٤] أبياتًا من الشعر يدعوه فيها إلى طاعته، فكلف سعيد شاعره بأن يرد على أبياته بأبيات شديدة اللهجة [٥]، وكان هذا الشاعر هو الأخمش الطليطلي [٦].

وفي مصر:

وأما في مصر، فقد وصل إلى رياسة فقهاء المالكية بها إبان الدولة الإخشيدية فقيه أندلسي الأصل هو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي، وكان هذا الفقيه يذم الفاطميين أشد الذم، وكان يدعو على نفسه بالموت قبل مجيء دولتهم [٧]، ولعله من أجل هذا استحق مكافأة الحكم

---

(١) المالكي: رياض النفوس ٣٩٨/١ ولعله يعني بقوله أصحاب البدع الفاطميين بوجه خاص.

(٢) ابن عذارى: ٢٣٥/١.

(٣) نفس المصدر: ٢٦٢/١.

(٤) كانت نكور إمارة ساحلية على البحر الأبيض مواجهة للسواحل الأندلسية، وكانت تحكمها الأسرة الصالحة السنية وقد كانت هذه الدولة الصغيرة أشبه بمحمية أندلسية (ابن الأبار يسمى أميرها سعيد بن صالح والى نكور للأمير عبد الرحمن)، وقد استطاعت أن تقف في وجه الفاطميين متحدية إياهم في صلابة وشجاعة، ولهذا تعهد أمانتها قرطبة بكل ما استطاعت من تأييد مادى وروحي – ابن عذارى: بيان ٢٤٦/١.

(٥) ابن عذارى: ٢٤٩/١-٢٥٠.

(٦) ابن الأبار: الحلة السيراء ترجمة ١١١.

(٧) ابن فرحون: الديباج المذهب ٢٤٨.

المستنصر الذي بعث إليه بصلاته من قرطبة [١]، وقد مات هذا الفقيه بمصر سنة ٣٥٥/ ٩٦٦ قبل الغزو الفاطمي.

استقبال الأندلس للاجئين السياسيين

٢ - وإتمامًا لهذه السياسة كانت قرطبة تفتح ذراعيها لكل لاجئ سياسي يهرب إليها من اضطهاد الشيعة، سواء من شمال إفريقية أو من مصر.

ومن أمثلة القادمين من مصر:

ابن الأزرق الأموي الذي أشرنا إليه فيما سبق وكان قد خرج من مصر فحبسته الحكومة الفاطمية في المهدية ربما لشكهم في كونه جاسوسًا أمويًا، ثم تمكن من الهرب، فأكرمه الحكم المستنصر، وظل في ضيافته حتى توفي سنة ٣٨٥/ ٩٩٥، ومنهم كذلك إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي الذي رحل من مصر سنة ٣٦٠/ ٩٧٠ بعد أن افتتحها الفاطميون، فحل من المستنصر محلا طيبًا، وكان فقيهًا مالكيًا له مكانته [٢].

أما الوافدون على الأندلس من المغرب فمنهم:

ابن الخراز المليلي الذي كان قاضيًا بمليلة (Melilla)، وهرب إلى قرطبة سنة ٣٢٥/ ٩٣٦ خشية من جنود الشيعة، فسجل له الناصر على قضاء بلده، وكان فقيهًا شاعرًا [٣].

وكذلك حكم بن محمد القيرواني القرشي (ت ٣٧٠/ ٩٨٠) الذي تردد بين قرطبة والقيروان، وأكرمه الحكم المستنصر أيضًا، وربما شارك في النشاط الأموي ضد الشيعة، بدليل ما يذكر من أنه تعرض لسجن عبيد الله المهدى بسبب مهاجمته للفاطميين [٤].

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء ترجمة الحكم المستنصر رقم ١١٤.
(٢) المقري: نفح الطيب ٤/٦٩.
(٣) ابن الفرضي: تاريخ ب ت٢٠٠.
(٤) نفس المرجع ت٣٧٥.

تشجيع التأليف في الشئون الإفريقية الشيعية:

٣ - كذلك عُنِيَتْ الخلافة أشد العناية بتشجيع حركة التأليف في الشئون الإفريقية، لا سيما ما يتصل منها بالشيعة.

ويكاد الخليفة الأموي العالم الحكم المستنصر أن يكون هو صاحب هذه السياسة، فقد كلف محمد بن يوسف القيرواني التاريخي الوراق بتأليف موسوعة له في إفريقية ومسالكها وممالكها وحروبها والقائمين عليها [١].

ولسنا نرى أن هذا كان بقصد العلم فقط، بل ربما كان كذلك تمكينًا للسياسة التقليدية التي جرت عليها الخلافة الأندلسية في الشمال الإفريقي.

وقد انتهز الحكم كذلك فرصة سفارة أبي صالح زَمور البرغواطى حين قدم عليه من قبل حليفه أمير برغواطة سنة ٣٥٢/ ٩٦٣، فسأله أن يكتب له أخبار برغواطة ونسبهم وديانتهم، فأخبره بذلك، وأمر المستنصر بترجمة كتابه إلى العربية (من البربرية).

وعن هذا الكتاب نقل كثير من المؤرخين معلوماتهم عن تلك الديانة [٢].

وقد وجه الحكم عناية خاصة إلى الشئون الشيعية، وما يتعلق بالعلويين على وجه العموم، بل شارك هو في ذلك، فألف بنفسه كتابًا في أنساب الطالبيين والعلويين القادمين إلى المغرب [٣]، وقد نقل عنه ابن عذارى رأيه في مسألة نسب عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، ومن الغريب أنه يرى صحة هذا النسب [٤].

وقد كلف معاويةَ بن هشام المرواني المعروف بابن الشَّبَانِسيَّة بأن يؤلف له كتابًا آخر في نسب العلوية وغيرهم من قريش، فوضع له كتاب (التاج السَّنِيّ في نسب آل عَلِيّ) الذي يحتوى - كما يبدو - على كثير من الأخبار عن الشيعة في

---

(١) ابن الأبار: تكملة ت ١٠٥٠.
(٢) ابن عذارى: بيان ٣١٨/١.
(٣) المقري: نفح ٦٠/٤.
(٤) ابن عذارى: بيان ٢١٩/١.

المغرب والأندلس [١].

٢ - التشيع في ايام ملوك الطوائف

قيام الدولة الحمودية:

١ - حينما سقطت الخلافة الأموية في قرطبة، وفشلت جميع المحاولات التي بذلت لإعادتها، بدا أن الجو أصبح صالحًا لكي تثمر الدعوات الشيعية التي ابتدأت تنتشر في الأندلس منذ زمن بعيد، وقد أحسن العلويون فعلا انتهاز هذه الفرصة وتحقق لهم تكوين أول دولة علوية يخطب باسمها على منابر الأندلس، وتلك هي الدولة الحمودية، ولكنها لم تلبث إلا فترة قصيرة، إذا انتهت بعد نحو نصف قرن، وهو تاريخ - على قصره - حافل بالحوادث محتاج إلى مزيد من الدراسة [٢].

والحموديون ينتسبون إلى إدريس بن الحسن العلوى الذي كون سنة ١٧٢/ ٧٨٨ أول دولة علوية في الغرب الإسلامي.

تفكك العناصر الاجتماعية:

٢ - وقد تميزت هذه الفترة من الناحية الاجتماعية بانحلال العناصر التي كان المجتمع الأندلسي يتكون منها، والتي استطاعت الخلافة الأموية أن تجعل من جميعها كتلة واحدة ومجتمعًا متماسكًا.

وقد تبع الانحلالَ السياسيَّ الذي أصيبت به الأندلس بعد سقوط الخلافة - تفكُّكٌ اجتماعيٌّ عنصريٌّ: فانحاز الصقالبة أو الفتيان العامريون إلى شرق

---

(١) ابن الأبار: تكملة ت١٠٧٨.

(٢) في التاريخ السياسي للدولة الحمودية راجع : R. Dozy: Histoere... III PP.306,16.23. prieto y Vives Los reyes de taifas 21.32. و Levi Provencal: Histoire Histoir... II,PP. 326.333.

الأندلس، وبقي الزعماء العرب مسيطرين على جزء كبير من غرب شبه الجزيرة، وأما البربر فتجمعوا في الجنوب الشرقي قريبًا من العدوة المغربية.

وقد رأينا من قبل كيف كان التشيع ينتشر حيث يوجد البربر [١]، وفعلاً كانت الدولة الحمودية بربرية خالصة، وينقل ابن بسام عن ابن قتيبة في ذكر العلويين من أجداد بنى حمود أنهم انتهوا (إلى طرف بلاد البربر فنكحوا إليهم وتبربروا معهم) [٢]. وكان على بن حمود أول خلفائهم كثيرًا ما يتكلم بالبربرية رغم أصله العربي [٣].

وحتى الإمارات البربرية المستقلة كانت تدين بالدعوة الحمودية، مثل دولة بنى زيري الصنهاجيين في غرناطة، الذين بقيت نزعتهم الشيعية حتي نهاية دولتهم تقريبًا [٤].

أما الأندلسيون فإنهم رأوا لذلك في الدعوة الشيعية احتلالا بربريًا مقنعًا، فقاوموها بكل ما لديهم من قوة، وقد كان هذا أيضًا مما دفع البربر إلى التكتل والتجمع، حتى لا يفتك بهم الأندلسيون، وزادت بذلك مظاهر الانحلال إذ أضيف إلى العاملين السياسي والاجتماعي عامل ثالث: هو المذهبي الديني بين الشيعة والسنة.

---

(١) وجدت في أيام الخلافة الأموية هجرات بربرية ولكن كان معظمها من قبيلة زناتة التي كانت موالية للأمويين، ثم إن الخلافة استطاعت أن تقمع كل نزعة منهم إلى التمرد، أما في أيام الدولة العامرية فقد استعان المنصور بن أبي عامر وابناه عبد الملك وعبد الرحمن من بعده بفرق من قبيلة صنهاجة، وكان هذا أول عوامل انحلال الدولة، إذ أن الصنهاجيين كانوا دائمًا شيعة موالين للفاطميين، ولم ينسوا في الأندلس نزعتهم الشيعية، بل بلغ نفوذهم أن كانت الشريعة السنية لا تطبق عليهم في أيام عبد الرحمن بن المنصور المعروف بشنجول Sanchol، كما فرض عبد الرحمن هذا على أهل دولته من الأندلسيين أن يتزيوا بزي البربر الصنهاجيين (ابن عذارى: البيان المغرب ٤٨/٣) وقد قرب هذا نهاية الدولة الأموية وعجل بظهور الدعوة العلوية البربرية.

(٢) ابن بسام: الذخيرة القسم الأول، ٧٨/١.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٤٢.

(٤) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ٩١.

الحرية الفكرية:

٣ - أما من الناحية الفكرية فإننا نلحظ طوال هذه الفترة حرية لم تكن الأندلس تتمتع بها في أيام الخلافة المروانية، وكان لهذه الحرية أثر في عودة كثير من العقائد الشيعية إلى الظهور، دون أن تلاحقها المطاردة والاضطهاد من جانب الحكومة.

وقد أوضح الأب (لويث أورتيث) عجز ما سماه بـ (محاكم الإيمان) في ذلك الوقت عن إدانة من اعتنق عقيدة تخالف الجمهور، وإلى ضعف هذا اللون من المحاكم بعد قوته وسيطرته أيام الخلافة الأموية (١).

وفعلاً نرى في هذا الوقت من واصل تعاليم مدرسة ابن مسرة، دون أن يتعرض لأدنى اضطهاد من الدولة، رغم ما في تعاليم هذا المَسَرِّيّ من خروج صريح على الدين (٢).

تأثير بغداد على الثقافة الأندلسية:

وقد سمحت هذه الحرية لمختلف ألوان الثقافة الشرقية بالانتشار في الأندلس، بعد أن كانت الخلافة الأموية تفرض عليها رقابة قوية، وتختار منها ما يتناسب مع ما يكفل لها السلطة الروحية في البلاد، وتدين ما سوى ذلك.

وقد استطاع الأستاذ (غرسية غومس) أن يبرز في قوة وبيان مدى ما كان للحضارة البغدادية من نفوذ طاغٍ على هذه الممالك الأندلسية الصغيرة، التي لم تكن إلا صورًا للمدينة الشرقية العظيمة (٣).

---

(١) J. Lopez Ortiz: El trbunal de Fe se les Omeyas cordobeses (en ctuz y Rayn. Madwid 1933) p.57.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الله الرعيني، وكان أنصاره يعتبرونه إمامًا ويؤدون إليه الزكاة. راجع: ابن حزم: الفصل ٤/ ٢٠٠ وكذلك Asin Palacios: In Masarra...p.122.

(٣) E.Carcia Gomez: Bagdady los reinos de Taifas (en Revista del Occidente 1934, tomo XLIII 2.22).p.9 .

وعلينا أن نذكر أن بغداد في هذا الوقت كانت من أهم المراكز الشيعية، منذ استطاع بنوبويه - وهم من غلاة الشيعة - الاستيلاء عليها سنة ٣٣٤ / ٩٤٥، وقد ازدهرت في أيامهم شتى ألوان الثقافة الشيعية.

وانتقل إلى الأندلس منها الكثير: ففي هذا العهد نقلت رسائل إخوان الصفا التي كان أول من أدخلها إلى الأندلس أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى القرطبي (ت٤٥٨/ ١٠٦٥)[1]، وهي رسائل ذات نزعة شيعية واضحة، حتى إنها نسبت إلى بعض أئمة العلويين[2].

كذلك كانت أيام بنى بويه في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس هي أزهر عصور الأدب الشيعي، وفي ظلها نشأ أبو بكر الخوارزمي (ت٣٨٥/ ٩٩٥) وبديع الزمان الهمذانى (ت٣٩٨/ ١٠٠٧) الكاتبان المعروفان، ومن الشعراء الشريف الرَّضِيُّ (ت٤٠٥/ ١٠١٤) ومهيار الديلمي (ت٤٢٨/ ١٠٣٦)، وكل هؤلاء شيعة، وكلهم باشر أثرًا كبيرًا على الأدب الأندلسي كما سنبين، وقد استفاد الأندلسيون من معظم هؤلاء عن طريق المجموعة الأدبية الضخمة التي ألفها أبو منصور الثعالبى النيسابورى (ت٤٢٩/ ١٠٣٧) باسم (يتيمة الدهر) وقد كان لها مكانة ممتازة وأثر عظيم في الأندلس.

ازدياد صلة الأندلس بمصر وشمال إفريقية:

ثم إن الصلة لم تنقطع بين الأندلس ومصر وشمال إفريقية، حيث كانت الدولة الفاطمية الإسماعيلية لا تزال تحكم، بل إن هذه الصلة زادت وقويت بسقوط الدولة المروانية وقيام الدعوة العلوية في بعض جهات الأندلس، وقد تبودلت بعض الرسائل بين على بن مجاهد العامرى صاحب دانية (Denia) والخليفة الفاطمي المستنصر بالله في سنة ٤٥٢/ ١٠٦٠، وقد قام بكتابتها من

(١) صاعد الطليطلى: طبقات الأمم ٩٤ وابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ٢/ ٤٠.
(٢) طبعت هذه الرسائل في القاهرة سنة ١٩٢٨ في ٤ أجزاء، راجع المقدمة التي كتبها أحمد زكي لهذه الطبعة ص٣١.

جانب علي بن مجاهد الأديب المشهور أبو الأصبغ عبد العزيز بن أرقم الوادي آشي [١]، كما هاجر الكثيرون من الأدباء من شمال إفريقية ومصر إلى الأندلس، وقد خصص ابن بسام الشنتريني لهؤلاء الغرباء جزءًا من القسم الرابع من كتابه (الذخيرة).

نفوذ اليهود في غرناطة:

ولقد كان كذلك من مظاهر الحرية التي تمتعت بها الحياة الفكرية الأندلسية - لا سيما في ظل الدعوة العلوية - تلك الحماية التي بسطها بنو زيرى في غرناطة على اليهود.

وقد حاول (دوزى) تعليل هذه الحماية بانعدام ثقة هؤلاء البربر في أمراء العرب [٢]، وزاد (هنري بيريس) على ذلك أسبابًا منها:

المقدرة الفائقة التي امتاز بها اليهود في معالجة المسائل الاقتصادية؛ وكانت مملكة غرناطة ترزح- كغيرها من هذه الدويلات - تحت أعباء مالية باهظة، ومنها كذلك النفوذ الذي باشرته الثقافة اليهودية على الشعب البربري الذي لم يكن قد تم تعريبه بعدُ، وقد استند (بيريس) في إثبات ذلك إلى أبيات لابن عمار الشِّلْبِيّ وغيره في العلاقة بين اليهودية والبربرية [٣].

وقد أشار الأستاذ (ملياس فاليكروسا) إلى أن هذه العوامل كلها كان لها أثر عظيم في ازدهار الثقافة الإسرائيلية في غرناطة، وفي الصراحة التي عبر بها المفكرون في ظل دولتها عن آرئهم ومعتقداتهم بشكل لا نجد له مثيلاً من قبل [٤].

---

(١) ابن الأبار: التكملة ص٦٢٢ ت١٧٣٥.

(٢) R. Dozy: Histoire ... III. 19-20

(٣) H. Peres: La poesie endaluse en arabe classique. p. 268-270

(٤) Jose M'. Millas Vallierosa: La potsia sagrada bebraico-espanala p.268-270 .

ونحن نضيف إلى كل ذلك عاملاً آخر لعله كان من أهم ما مكن لليهود في غرناطة، ذلك هو أن الزيريين كانوا يدينون بالدعوة الشيعية [١]، وقد كان بين التشيع واليهودية صلة قديمة، وتأثر الشيعة منذ نشأتهم بتعاليم الديانة اليهودية.

بل إن عبد الله بن سبأ - أول من جعل للتشيع صبغة مذهبية واضحة - كان يهوديّ الأصل [٢].

وقد أشرنا إلى المقارنة التي أوردها ابن عبد ربه بين عقائد الشيعة وهذه الديانة [٣]، كما أشار ابن حزم إلى بعض الآراء المتشابهة التي يدين بها الشيعة واليهود [٤]، وهذا هو ما جعلنا نعد هذا التشابه والتقارب مما أتاح الفرصة لبني النغريلة في غرناطة أن يتبوؤا أسمى مناصبها ويتمتعوا فيها بحرية جعلت علماءهم يجادلون علماء المسلمين مدافعين عن ديانتهم في قوة وثقة [٥].

ولعله ليس من محض الصدفة أن يكون اليهود في نفس هذا الوقت هم

---

(١) بينا أن الزيريين كانت فيهم نزعة شيعية حتى بعد أن ضعفت الدولة الحمودية، ولعل من مظاهر تفكيرهم الشيعي، ما كانوا يعتقدونه من أن أئمتهم مختارون من قبل الله، وأن عقولهم أجل وأنفس من عقول سائر الناس - راجع مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيرى في غرناطة، وهي المسماة بـ (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى) وقد نشر ليفي بروفنال منها قطعًا
E.levi-Provencal: Les memoires... en Al-Andalus. 1935, p. 268

(٢) في هذه الصلة راجع بحث فان فلوتن Van Vloten عن (السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات) ترجمة حسن إبراهيم وزكى إبراهيم ص ١١٩ وما بعدها.

(٣) العقد الفريد ٢/ ٤١٠، ٤١٩.

(٤) يذكر ابن حزم دعوى الرافضة رد الشمس على علي بن أبي طالب، ويقارن بينها وبين ما يذكره اليهود في ردها على يوشع ويشير إلى بيت أبي تمام:

فوالله ما أدري علـى بدالنـا فردت له أم كان في القوم يوشع

(فصل ٥/ ٣، ٤)

(٥) E.Garcia Gomez: polemice religiosa entre Ocn Hazm e Ibn Al.Nagrila. en Al. Andalus IV (1936) p.1-28.

المتقلدون لأرفع المناصب في الدولة الفاطمية في مصر وفي غيرها من الدول الشيعية مثل إيران [١]، وقد كانت صلة الجاليات اليهودية قوية لذلك بين بعضها والبعض الآخر، كما لاحظ ابن حزم [٢].

مظاهر التشيع في الحياة الفكرية

تصوير الشيعة في (الفصل) لابن حزم:

خير ما يطلعنا على مدى معرفة الأندلسيين بالتشيع والمذاهب الشيعية في هذا الوقت هو الكتاب الذي وضعه أبو محمد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦/ ١٠٦٣) وهو المسمى بـ (الفصل في الملل والأهواء والنحل [٣]) وهو ثاني مؤلف أندلسي يتكلم عن فرق الشيعة بعد كتاب العقد لابن عبد ربه، وإذا قارنا بين ما يحتوى عليه الكتابان، تبين لنا مدى ما عرفه الأندلسيون عن التشيع في خلال قرن من الزمان: فكلام ابن حزم أدق وأضبط، وأكثر استقامة مع الواقع التاريخي، وأشد اهتمامًا بالنواحي العَقَدِية ووجوه الخلاف بين الشيعة والسنة، بينما كلام ابن عبد ربه تشيع فيه الروح الأدبية والاهتمام بالمختارات والنوادر، وابن حزم يتكلم عن طوائف الشيعة معددًا إياها بكثير من التفصيل، كما أنه يتعرض للتشيع الأندلسي وممثليه ومن تأثر به قليلاً أو كثيرًا، وهذا ما يخلو منه كتاب ابن عبد ربه تمامًا.

كذلك تعرض ابن حزم لبيان الشيعة الباطنية (الإسماعيلية) وهم الذين كانوا يحكمون حينئذ في مصر وشمال إفريقية، وأورد بعض آرائهم مع تعليقه ونقده،

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ب ٧٢/١

(٢) الفصل ب: ٩٩/١.

(٣) نفس المرجع: ١٧٩/٤-١٨٨ وقد أفرد المستشرق Israel Friedlander هذه الناحية من كتاب ابن حزم ببحث مستقل بعنوان:
Tbe beterodoxies of tbe sbiites according to Ibn Hazm (new Haven I)
ولكن يجب أن نلاحظ أن ابن حزم من ألد أعداء التشيع فينبغي أن نتلقى كلامه في كثير من الحذر.

كما نراه في موضع آخر من بعض كتبه يفصل الكلام عن نسب هؤلاء الإسماعيلية ويبدى رأيه في مدى صحة هذا النسب [١]، وكل هذا يدل على أن كثيرًا من المعلومات الدقيقة وصلت إلى علم الأندلسيين عن مختلف فرق الشيعة.

ومن مظاهر التأثير الشيعي في هذه الفترة أن مدرسة ابن مسرة قد استمرت ممثلة في طائفة من المفكرين كان من أبرزهم إسماعيل بن عبد الله الرعينى [٢] الذي عاش في المرية (Almeria) وكان أنصاره يعتبرونه إمامًا يؤدون إليه الزكاة، ويذكر أنه كان يتنبأ بأشياء قبل وقوعها فتقع، وإلى ابن حزم يرجع الفضل في الاحتفاظ ببعض آرائه ومناقشتها، وهي آراء يبدو فيها تأثير الباطنية كما بينا، وإن لم تخل من أثر التشيع العراقي الذي قوى تياره في هذا الوقت، وذلك في مثل قوله بنكاح المتعة [٣]، وقد كان هذا المبدأ من أهم الأشياء التي تمسك بها الشيعة الاثنا عشرية في فقههم [٤].

ويبدو أن إسماعيل الرعينى كان شديد التطرف في آرائه حتى إن المسرية تبرأوا منه [٥]، وهذا يدلنا على أنه كانت لهم مدرسة واسعة الانتشار حينئذ في المرية.

وممن أشار إليه ابن حزم كذلك محدث من معاصريه كان في طلبيرة Talavera يسمى محمد بن إبراهيم بن شق الليل الطليطلى (ت ٤٥٥/ ١٠٦٣)، وكان له مشاركة في كثير من العلوم، وله عناية بأصول الديانات وإظهار الكرامات [٦]، وكان يدين بالرجعة على ما يبدو من مناقشة ابن حزم

(١) جمهرة أنساب العرب: ٥٣ وما بعدها.
(٢) Asin Palacios: In Masarra...p. 122y sigs.
(٣) الفصل ب: ٤/٢٠٠.
(٤) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣/٢٥٥ وما بعدها.
(٥) الفصل: ٤/١٩٩.
(٦) ابن بشكوال: الصلة (قطعة منشورة ذيلا لتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى) ترجمة ١٧٥٨.

لبعض آرائه [١].

مدى تشيع الحموديين.

وقد كان من المنتظر أن تزدهر الثقافة الشيعية في الأندلس في ظل الدولة الحمودية حيث كانت تتمتع بحماية السلطان، وهذا يدعونا إلى النظر في تشيع الحموديين: ما مداه؟ وأيّ الفرق كانوا يتبعون؟

الواقع أن الحموديين كانوا شيعة معتدلين إلى خد بعيد، فلم تتخذ دولتهم طابعًا دينيًا قويًا، ولم يكن لهم مذهب كامل واضح المعالم، ولا فلسفة تقوم على أسس ثابتة، ولا فقه خاص يميزهم عن غيرهم، كما نجد ذلك في الدولة الفاطمية في مصر، أو البويهية في إيران حقيقةً كانوا يدينون ببعض المبادئ العامة التي قام عليها التشيع، ولكنهم لم يأخذوا من ذلك إلا بقدر ما يحقق لهم مأربًا سياسيًا.

فهم يدينون كما يدين سائر الشيعة بأنه (لا تتم ديانة إلا بإمامة [٢]) وأنه يجب على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه، وأنهم الوحيدون الجديرون بالخلافة لقرابتهم من النبي ﷺ، وأن من سواهم ممن ولي الخلافة معتدٍ غاصب.

ولكنا لا نراهم أخذوا بأكثر من ذلك، بل إنهم كانوا حتى في ذلك معتدلين كثيرًا، ويشير ابن حزم إلى عدم جرأتهم أول الأمر على التسمي بالخلافة [٣]، وحتى علي بن حمود أولَ خلفائهم لم يستند في دعواه على قرابته من النبي بقدر ما اعتمد على حجته في أن هشامًا المؤيد الأموي عهد إليه بالطلب بدمه، وبهذا أخرج كتابًا للناس أول ولايته نسبه إلى هشام، وفيه يستغيث من سليمان بن

---

(١) فصل: ٨٠/٤ وقد أشرنا من قبل إلى التشابه بين رأى الشيعة والفكرة اليهودية في مسألة الرجعة، ولعل ابن شق الليل أخذ بعض آرائه من اليهود الذين كانوا حينئذ منتشرين في طليطلة وطلبيرة حيث قضى معظم حياته (راجع ابن حزم: الفصل١/٩٩).

(٢) ابن بسام: الذخيرة ب ق١-١٤١/٢ وكذلك ٤٥٨.

(٣) ابن حزم: نقط العروس ٥٩.

الحكم المستعين، ويولى ابن حمود أمر الأخذ بثأره، وقد رأى أنه بهذا يكسب دعواه مظهرًا من الشرعية والحق [١]، وبهذا الكتاب مدحه الشعراء المتشيعون، يقول أبو بكر عبادة بن ماء السماء:

فكل من ادعى معك المعالي ... كذوب مثلما كذب الدَّعِيّ
أبى لك أن تهاض عُلاك عهدٌ ... هشاميّ وجدٌّ هاشميّ [٢]

ومن هذا يبين لنا مدى اعتدال الحموديين في تشيعهم، ويقول (بريتو فيفس):

إن الخليفة الحمودى الثاني القاسم بن حمود كان يدين بمبادئ شيعية، إلا أنه لم يحاول مطلقًا أن يفرضها على أحد في دولته [٣].

وبالرغم من ذلك فقد احتفظ لنا ابن بسام برسالة طريفة بقلم أبي جعفر بن عباس وزير زهير الصقلبي في المرية، وتتضمن هذه الرسالة طائفة من التهم التي كان يرمى بها الحموديون في عقيدتهم وشريعتهم باعتبارهم شيعة، يقول ابن عباس (والكلام عن أحد خلفاء بني حمود): (مُلِحدٌ رِجْسٌ، لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يؤاخى إلا كلَّ منافق كافر، يسب الصحابة والأبرار، ويُكَذِّبُ بالجنة والنار، ولا يرجو حسابًا ولا يحذر عقابًا، ادعى خلافة الله فهي منه تضج ... يأخذ الرشوة على بيت الله الحرام، ويستخف بشرائع الإسلام ... إلى أن يقول: بئس الشيعة وقودُ جهنم وحطبُها، وعليهم يزداد حنقها وغضبُها) [٤]

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ١١٦/٣.
(٢) ابن بسام: الذخيرة القسم الأول - ١٠/٢.
(٣) A. Pricte y Vives: Los reyes de Taifas, p.25 وانظر كذلك الحميدى: جذوة المقتبس ص٢٢ وعبد الواحد المراكشي: المعجب ص ٥٠ وقد ذهب (بيريس) (La poesie andalous... p. 96) إلى أن الحموديين قاموا فعلا بهذه المحاولة، واستند إلى ما ذكره ابن خاقان في المطمح من اضطهادهم لابن شهيد، ولكننا لا نرى في ذلك دليلا كافيًا على أن الحموديين أرادوا فرض تشيعهم على الأندلسيين بشكل عام، بل إن ابن شهيد نفسه. كما سنرى - لحق بيحيى بن علي الحمودى ودافع عن إمامة العلويين.
(٤) ابن بسام: نفس المرجع القسم الأول - ١٦٤/٢، ١٦٥.

وواضح أنه لا يمكن الثقة في صحة هذه التهم لصدورها عن عدو متحامل، ولست أظن ما يذكره من سب الحموديين للصحابة صحيحًا، وإن كان شيئًا مألوفًا عند كثير من فرق الشيعة المتطرفة.

وهكذا نستطيع أن نقول بوجه عام إن تشيع الحموديين كان تشيعًا باهتًا لا روح فيه، وهو تقليد للمشرق لا تجد فيه أثرًا للشخصية الأندلسية، ثم هو سطحي لا عمق فيه، مقتصر على مظاهر كثيرٌ منها كاذب متكلف، يمثلها لنا ما يرويه المؤرخون عن إدريس بن يحيى الحمودى الخليفة العلوي في مالقة، إذ اتخذ له حجابًا ينشده الشعراء من خلفه، وذلك تشبهًا بالخلفاء الهاشميين من بني العباس (١).

أسباب ضعف التشيع في هذه الفترة:

ويمكن أن نرد هذه الظاهرة إلى أسباب منها:

١ - أن الدولة الحمودية كانت منذ نشأتها محاطة بجو من الكراهية الشديدة من جانب الأندلسيين الذين كان المذهب السني قد تأصل فيهم منذ الإمارة الأموية، فكان على الحموديين أن يجاروا هذا الجو، فلم يستطيعوا إلا أن يكونوا معتدلين مسايرين للمذهب السني وهكذا لا نراهم يغيرون شيئًا من النظم الإدارية والقضائية التي كانت موجودة في أيام بنى أمية.

٢ - وكان حكم الحموديين قصيرًا تتخلله الثورات والحروب الأهلية، ولم يدع هذا لهم مجالا للاستقرار، وتكوين حكومة قوية تستطيع أن تفرض آراءها ومعتقداتها.

٣ - وهم أخيرًا لم يحكموا كل الأندلس، بل لم تتجاوز دعوتهم قرطبة والجزيرة الخضراء وغرناطة ومالقة تقريبًا، وكانت بقية إمارات الأندلس: إما تدين بخلافة دَعِيِّ هشام الذي نصبه ابن عباد، أو مستقلة تمامًا، أو محالفة

(١) المقري: نفح الطيب ١/٤١٠.

للدول النصرانية ، وهكذا لم يمكنهم نشر دعوتهم نشرًا كافيًا لتثبيت دعائمها .

آثار بعض العقائد الشيعية في التفكير الأندلسي:

وعلى رغم ذلك ، فقد كان للدعوة العلوية في أول ظهورها أثر على التفكير الديني والسياسي في الأندلس ، وذلك عند ما بدأت ظواهر الانحلال في جسم الدولة الأموية ، وقد أعان على خلق جو من التنجيم والأراجيف ، وانتشار كتب الحدثان وتأويل الرؤى انتشاراً لم نعهده من قبل ، وحتى الخليفة الأموي نفسه هشام المؤيد كان يخامر نفسه قائم علوي بسبتة Ceuta يملك الأندلس أول اسمه عين ، فما زال يرتقبه حتى ولى على بن حمود سبتة ، فكتب إليه يوليه عهده [١] ، ولعل وسطاء الحموديين استغلوا غفلة هشام وضعف عقله [٢] فأقنعوه بهذه الفكرة .

وقد شاعت في هذا الجو الأساليب والألقاب التي اتخذها الشيعة دائمًا ، وقد استغلها كذلك الحزب الأموي كما استغلها الحزب الشيعي سواء بسواء ، ونظرة إلى الانقلاب العسكري الذي قام به سنة ٤٠١/ ١٠١٠ محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى ضد عبد الرحمن بن المنصور (شنجول) تثبت ما نقول ، ولندع ابن حيان يروِ لنا مبادئ ثورته : (وطفق دعاته يرجفون بوثوب قائم من آل مروان ، ولا يسمونه ، ويشيعون الأحاديث عن نصره ، ويتكهنون بهلك عبد الرحمن) [٣] ، بل إن محمد بن هشام هذا على رغم كونه زعيم الحزب الأموي والعدو اللدود للبربر لم ير بأسًا من أن يتخذ لقب (المهدى) ، وقد كان هذا اللقب الشيعي المحض مما أثار عليه أهل الأندلس السنيين .

ويقول ابن عذارى في ذلك : (وذلك اسم لم يتلبس به أموي قط ، فكان أول

---

(١) ابن بسام: ذخيرة ق ١-١/٢٩.

(٢) راجع ترجمة هشام المؤيد في المغرب لابن سعيد ١٨٨-١٩١ وقد بالغ الحجارى كثيرًا في وصف هذا الجانب من هشام.

(٣) ابن عذارى: البيان ٥٣/٣.

مناكيره)[١].

ولما فشلت الانقلابات المتوالية التي حاول الأمويون بها أن يصلوا إلى الحكم، وبدا الأمر يكاد يستقر للدعوة الحمودية العلوية، رأى المعتضد أن يقدم رجلا للخلافة زعم أنه هشام المؤيد، بايع له، ودخل الناس في طاعته، كان بدء إظهار هذا الرجل سنة ٤٢٧/ ١٠٣٥، [٢].

وحينئذ راح شيعة المروانية ينشرون الاشاعات عن عودة الدولة الأموية، وأن هشامًا إنما رحل إلى مكة لتأدية المناسك، ثم يعود، فيعيد إلى الأرض العدل وينشر السلام، وقد حمل المؤرخ ابن حيان على هذه الخرافة حملة شديدة، ورأى أن هؤلاء دانوا بما تدين به الشيعة من الرجعة [٣].

ويقول في ذلك أيضًا الوزير أبو جعفر بن عباس من رسالة كتبها عن زهير الصقلبى صاحب المرية إلى أهل قرطبة: (واستعار (يعنى ابن عباد) اسم الشهيد هشام المؤيد لغير أهله . . . واعترض على منكريه بكهانة شِقّ وسطيح، واحتج بكتب الجفر، ودان بالتناسخ)[٤].

ونحن نعلم أن الجفر من الأشياء التي اختص بها الشيعة وهو عندهم وعاء من جلد ثور صغير مكتوب فيه علم ما سيقع وهو مروى عن جعفر الصادق[٥]، والتناسخ من العقائد التي دان بها الكيسانية من الشيعة [٦].

وهكذا نرى الحزب الأموي يستغل وسائل الشيعة في الدعاية، ويأخذ عنهم بعض طرق تفكيرهم، على أن ذلك كان في الوقت الذي قَوِيَ خطر الدعوة

---

(١) نفس المرجع: ٦١/٣.
(٢) نفس المرجع:١٩٠/٣.
(٣) نفس المرجع:١٩٨/٣.
(٤) ابن بسام: ذخيرة ق١-٢/١٦١.
(٥) راجع أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢٤٣/٣ وانظر كذلك حاجى خليفة: كشف الظنون ١/ ٥٩١.
(٦) ابن حزم: الفصل ١٨٢/٤.

العلوية فيه، فلما رأى المعتضد ضعف هذه الدعوة واضمحلالها أعلن موت هشام الدَّعِيّ إذ رأى أنه لم يعد بحاجة إلى الدعوة له وذلك في سنة ٤٥٠/١٠٥٨

الأدب الشيعي في ظل الحموديين

كان التشيع في المشرق من أكبر العوامل التي غذت الأدب العربي وأمدته بألوان جديدة، وكما كان الحزب الشيعي هو أول حزب إسلامي ديني سياسي، فكذلك كان أدب الشيعة أول أدب سياسي حاول شعراؤهم أن يحتجوا فيه على خصومهم مدافعين عن نظريتهم في الإمامة.

وقد كان أدب الشيعة يمتاز كذلك بصدق العاطفة وقوة الشعور الديني، ولهذا فقد كانت مدائح شعرائهم تختلف عن مدائح غيرهم لما فيها من الحرارة والإخلاص، وهو ما يفتقر إليه شعر المديح عمومًا في الشعر العربي [١].

أما في الأندلس، فقد وافق قيام الدعوة العلوية بها هذه الفترة التي أشرنا إلى بعض ما امتازت به من مظاهر الازدهار الأدبي، ومحاولة كل أمير من أمراء تلك (الطوائف) أن يجمع حوله أكبر عدد ممكن من الأدباء، وعلى الرغم من أن على بن حمود أول خليفة علوي كان يفهم العربية بكثير من الصعوبة، إلا أنه كان (يصغى إلى الأمداح ويثيب عليها)[٢]، ولعله فطن إلى مدى خطر الشعر في توجيه السياسة، وقد كان من تبعه من الحموديين مثله أو أكثر منه تشجيعًا للأدب وإغداقًا على الشعراء، وهكذا نجد في بلاطهم عددًا كبيرًا من الأدباء احتفظت لنا المراجع بأسماء الكثيرين منهم.

ابن درّاج القسطلي:

ويعد ابن دَرّاج القَسْطَلّيّ (ت٤٢١/ ١٠٣٠) أفضل الشعراء الذين اتصلوا

---

(١) راجع في أدب الشيعة: أحمد أمين: ضحى الإسلام ٣/ ٣٠٠ وما بعدها.
(٢) المقري: نفح الطيب ٢/ ٢٨.

بالحموديين، ولم يبق لنا من شعره الشيعي إلا قصيدة هاشميةٌ مدح بها على بن حمود، واحتفظ لنا ابن بسام بأكثرها[1]، مفضلاً إياها على هاشميات كُثَيِّر عزة والكُميْتِ بن زيد والسَّيِّد الحميرى ودِعْبِل، وفى هذه القصيده يحتج ابن دراج لإمامة الحموديين ويقول إنها ثابتة بنص القرآن، وبدليل العقل، وبحكم حقهم في ميراث النبي:

فأنتم هداة حياة وموت ... وأنتم أئمة فعل وقولِ
وسادات من حل جنات عدن ... جميع شبابهم والكهول
وأنتم خلائف دنيا ودينٍ ... بحكم الكتاب وحكم العقول

وابن دراج أول من ذكر مناقب أهل البيت في أسلوب حزين مؤثر، كان نواة للقصائد الأندلسية التي تناولت مراثى أهل البيت من بعد:

ووالدكم خاتم الأنبياء ... لكم منه مجدُ حَفِيٍّ كفيل
تلذ بحملكمُ عاتقاه ... على حمله كلَّ عِبءٍ ثقيل
ورحب على ضمكم صدره ... إذا ضاق صدر أب عن سليل
ويطرقه الوحي وهنًا وأنتم ... ضجيعاه بين يدي جبرئيل

والحقيقة أن هذه القصيدة تعتبر من خير ما أنتجه الأدب الشيعي، وقد بلغت في وقتها من الانتشار حدًّا بعيدًا، واهتم بها رواة الشعر وأفردوها بالدراسة والحفظ[2].

مدى إخلاص ابن دراج في تشيعه:

ولكن، هل كان ابن دراج مخلصًا حقًّا في هذا التشيع؟

قد عرض لهذه المسألة المستشرق الفرنسي الأستاذ (بلاشير) في بحثه الذي أفرده عن ابن دراج، فقال: إنه من المبالغة أن نظن به هذا الإخلاص، وإن الدليل على ذلك تأييده للحزب الأموي الذي تزعمه خيران العامرى، والذي

---

(١) الذخيرة: القسم الأول ١/٧٠-٧٣.
(٢) ابن الأبار: تكملة ٦٩٥.

ترك الدعوة للحموديين سنة ٤٠٨/ ١٠١٧، ودعا للخليفة الأموي عبد الرحمن المرتضى [١].

وهذا صحيح، فإن هذا الشاعر الذي دافع عن حق العلويين في الإمامة لا نلبث أن نراه بمثل هذه الحماسة يدافع عن حق الأمويين فيها، ومن قوله في سليمان بن الحكم المستعينْ الأموي:

وجَدَّد للإسلام سور خلافة	عليها من الرحمن نور وبرهانُ
قريب النبي المصطفى وابن عمه	ووارث ما شادت قريش وعدنان
وما ساقت الشورى وأوجبه التقى	وأورث ذو النورين عَمُّك عثمان
وما حكمت فيه السيوف وحازه	إليك أبو الأملاك جدك مروان

على أنه ينبغي ألا نندهش لهذا التقلب السريع، فقد كان ابن دراج من هؤلاء الشعراء التعسين الذين جنت عليه (الفتنة) القرطبية [٢]؛ فراحوا يستجدون بشعرهم كل ثائر، دائرين مع الريح حيث دارت، باكين مع ذلك مجد الأندلس الذي عصف به سقوط الخلافة الأموية، وهكذا كان شعر القسطلي الهاشمي قليل النصيب من الصدق والإخلاص، على رغم إحكام صنعته واهتمامه الفائق بالأسلوب [٣].

ابن شهيد:

وكذلك كان شاعر آخر ليس أقل من ابن دراج شهرة، وهو أبو عامر بن شُهَيْد (ت٤٢٦/ ١٠٣٤).. وهو يشترك مع سابقه في أنه من الشعراء الذين وصفوا (الفتنة)، وقد رثى قرطبة بقصائد مؤثرة عرّض في أثنائها بالبربر وبدعوتهم

---

(١) Blachere: La vie et l'oeuvre du poete-epissolier andaloy Ibn Darrag al Kastalli Hesperis, t. XVI 1933 (P.99.121). p111.

(٢) Garcia Gqmez: Algunas Precisiones sober la ruina de Cardoda Omeya .Al. An. dalus, vol. XII 1947 p.273.

(٣) Blachere: op. cir.118 .

الشيعية، وربما كان من أجل ذلك الاضطهاد الذي لحقه من جانب الحموديين فترة من الزمن [(١)]، ولكنه اضطر بحكم السياسة أن يمدح العلويين ولعله فعل بعد أن يئس من عودة الدولة الأموية، ولهذا فنحن نراه هاربًا من قرطبة لاحقًا بيحيى المعتلي بن علي بن حمود (ت٤٢١/ ١٠٣٠) في مالقة، وقد صور في شعره هذا التحول إلى الحزب الشيعي منددًا ببني أمية:

لئن أَخرَجَتْنِي عنكمُ شر عصبة ... ففي الأرض إخوانٌ عَلَيّ أكارمُ
وإن هشمت حقي أمية عندها ... فهاتا على ظهر المحجة هاشم[(٢)]

ويبدو أن الحموديين في مالقة أحسنوا استقباله، وحاولوا أن يجعلوه من ألسنتهم، حتى إنه ليعترف بفضلهم عليه وإيوائهم له وذلك في بعض رسائله[(٣)]، ولكن أبا عامر لم يكن مع ذلك مخلصًا للدعوة العلوية، ثم إنه اعتزل السياسة أخيرًا وكان له في إكبابه على لذاته ما يشغله عن هذا التناحر السياسي الديني.

عبادة بن ماء السماء:

على أنه كان من بين الشعراء الذين اتصلوا بالحموديين من أخلص لهم وكاد يقتصر عليهم، ومن أمثلة هؤلاء أبو بكر عبادة بن ماء السماء (توفي بعد ٤٢١/ ١٠٣٠)، وقد أشار المؤرخون إلى أنه كان يتشيع، وافتخر هو بذلك في شعره فقال من قصيدة يمدح بها يحيى المعتلي الحمودي:

فها أنذا يا بن النبوة نافث ... من القول أريا ما ينفث الصّلُّ
وعندي صريح من ولائك معرق ... تَشَيُّعُهُ محض وبيعته بتلُ
ووالى أَبِي قَيْسٍ أباك على العلى ... فخيم في قلب ابن هند له غلُّ[(٤)]

---

(١) H. Peres op. cit. 95.97

(٢) ابن بسام: ذخيرة القسم الأول - ٢٧٦/١.

(٣) نفس المرجع: ١٨٢/١ فهو يقول في معرض الكلام عن بعض خصومه من الأدباء (ولو أنه منتسب إلى آل هاشم، إلى عصابة أقلني كرمهم وأظلتني نعمهم... الخ.

(٤) نفس المرجع: القسم الأول ٩/٢.

وهو يشير في البيت الأخير إلى عراقته في التشيع، إذ أن جده قيس بن سعد ابن عبادة الخزرجي كان من أكبر شيعة على بن أبي طالب، وهو الذي ولى له مصر، وشعر معاوية بخطره حتى استطاع التخلص منه بأن بعث إليه من سمه [١].

وقد أشرنا إلى أن أحد سلالة سعد بن عبادة قام من قبلُ بالثورة في وجه عبد الرحمن الداخل منذ كانت الإمارة الأموية في طور التكوين.

وقد نقل ابن بسام بعض شعر عبادة، منه قصيدة قالها في رثاء على بن حمود ومدح أخيه القاسم حين ولى الخلافة بعده، ويظهر في هذه القصيدة ما هو مألوف في مدح الشيعة من إفراط ومبالغة وإذابة لشخصية الشاعر في (الإمام)، حتى إن نفوس أشياعه وأموالهم إنما هي من بعض فضله:

وحكمة خضعت هام الملوك بها ... عزًا فلا حُرٌ موجود بواديه
مؤيد جاءت الدنيا إلى يده ... عفوًا ولبته من قرب أمانيه
جلت أياديه حتى إن أنفسنا ... وما ملكناه جزء من أياديه [٢]

ابن الحناط:

واختص بالحموديين أيضًا أبو عبد الله محمد بن سليمان القرطبي المعروف بابن الحنّاط الكفيف (ت٤٣٧/ ١٠٤٥)، وكان قد نشأ في قرطبة نشأة أعانته على أن يلغ الغاية في العلوم، ولكن غلب عليه علم المنطق حتى اتهَم في دينه واضطر إلى الالتجاء إلى الجزيرة الخضراء، فعاش هناك في ظل محمد المهدى ابن القاسم بن حمود (تولى من ٤٢٨/ ١٠٣٦ إلى ٤٤٠/ ١٠٤٨)، وله قصيدة يصف فيها خروجه من قرطبة ورحلته إلى الجزيرة يقول في أولها:

تفرغت عن شغل العداوة والطعن ... وصرت إلى دار الإقامة والأمنِ
وما عن قليً فارقت تربة أرضكم ... ولكنني أشفقت فيها من الدفن

---

(١) ابن حزم: جمهرة الأنساب ٣٤٦.
(٢) ابن بسام: الذخيرة القسم الأول - ٦/٢

وتظهر في شعره بعض التعابير الشيعية مثل (الوصي):

فبوأت رجلي ظل أروع ماجد يقول بلا خلف ويعطي بلا منّ
إمام (وصي) المصطفي وابن عمه أبوه فتم المجد بين أب وابنِ

ولابن الحناط قصيدة في مدح القاسم بن حمود، يسجل فيها هزيمة عبد الرحمن المرتضى في سنة ٤٠٩/ ١٠١٨ على أسوار غرناطة وكان القاسم قد احتفل بذلك اليوم في قرطبة، وأنشد ابن الحناط يومئذ[١]:

لك الله خيرانٌ مضى لسبيله وأصبح أمر الله في ابن رسوله
وفُرِّقَ جمعُ الكفر واجتمع الورى على ابن حبيب الله بعد خليله

وتظهر في هذه القصيدة العصبية البربرية التي كانت سند الدعوة العلوية، فيقول مُصوِّرًا هزيمة خيران:

ولما دعا الشيطان في الخيل حزبه وأقبل حزب الله فوق خيوله
كتائبُ من صِنهاجةٍ وزناتةٍ تضايق في عرض الفضاء وطوله
تقدم خيران إليها بزعمه ليدرك ما قد فاته من ذخوله
فأحجم تحت النقع والخيل تَدَّعي كما ازدلف الليث الهزبر لغيله

* * *

ابن مقانا الأشبوني

وأهم شعراء الحموديين بعد ذلك أبو زيد إدريس بن مقانا الأشبوني، وهو مشهور بقصيدته النونية في مدح إدريس بن يحيى العالي (تولى من ٤٣٤/ ١٠٤٢ إلى ٤٣٨/ ١٠٤٦)، وفي هذه القصيدة نرى التشيع يبلغ غايته من التطرف والمبالغة، فهو يهتم بإبراز حق العلويين المقدس، وشعره واضح التأثر بشعر

---

(١) نفس المرجع: القسم الأول أ٣٩٦/١ وقد نسب المقري هذه القصيدة خطئًا إلى أبي بكر عبادة ابن ماء السماء راجع المقري: نفح الطيب ٣١/٢.

ابن هانيء وذلك في ناحيتين :

أما الأولى : فهي اهتمامه بالوقع الموسيقى للألفاظ ، وقد أعان ابنَ مقاتا على التوفيق في هذه الناحية البحر الذي نظم فيه قصيدته والقافية التي تنتهي بها أبياتها .

وأما الثانية : فهي ما أسبغه على ممدوحه من صفات جعلته شبه إله : بيده العسر واليسر ، بل هو يختلف عن سائر البشر : أصله غير أصلهم وطينته غير طينتهم [١] :

يا بني أحمد يا خير الورى لأبيكم كان وفد المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبى في الدجى فوقهم الروح الأمين
خلقوا من ماء عدل وتقى وجميع الناس من ماء وطين
انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور رب العالمين [٢]

وقد مدح الحموديين غير هؤلاء من الشعراء ، منهم أبو عبد الله محمد بن السَرَّاج ، وإدريس بن اليمان اليابسى ، وغانم بن الوليد ، ممن لا يتسع لتفصيلهم المجال ، ولكن النزعة الشيعية في شعرهم أقل وضوحًا وقوة ممن بينًا .

* * *

(١) هذا وقد لاحظ ابن بسام أن معظم شعراء عصره يميلون إلى طريقة ابن هاني ويقلدونه. الذخيرة القسم الثاني ورقة ١٥٣.

(٢) المقري: نفح الطيب ١/٤١٠.

قيمة الشعر الشيعي الأندلسي:

لم يكن هذا الشعر الشيعي من الناحية الفنية إلا صورة صحيحة صادقة للتشيع الأندلسي الذي أسلفنا الكلام عنه، وقلنا: إنه تشيع باهت تغلب عليه السطحية والتكلف، وتشحب فيه الشخصية الأندلسية حتى لا تكاد تبين، وكثير من مدائح شعراء الحموديين لهم لا تكاد تفترق عن مثيلاتها في غيرهم من ملوك الطوائف، إذ أن هؤلاء الشعراء لم يروا فيهم ما يميزهم عن غيرهم، بل إن كثيرًا من الأمراء الحموديين أنفسهم لم يروا لأنفسهم الحق الشرعي الواضح في الخلافة، ولهذا فإنهم لم يحاولوا أن يفرضوا التشيع على الشعوب التي خضعت لهم كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وقد ترتب على ذلك أننا نبحث عبثًا عن شاعر حمودى يمثل شعره فكرة كاملة متماسكة كما كان شعر (ابن هاني) بالنسبة للفاطميين.

والشيء الذي نلمس فيه بعض الحرارة والقوة هو الشعر الذي يتناول أهل البيت بالرثاء، وإنما أتى هذا من طبيعة الموضوع نفسه، وربما أعان عليه دخول الكثير من دواوين شعراء الشيعة المشارقة مثل الشريف الرضي ومهيار الديلمى إلى الأندلس في ذلك الوقت، وقد أشرنا إلى أن في شعر ابن دراج القسطلى مبادئ لهذا الموضوع، ولعل أولَ من اختصه بالنظم في آخر أيام ملوك الطوائف الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال الذي نظم قصيدتين في رثاء الحسين بن علي [١]، وسنرى كيف تطور هذا الغرض فيما بعد حتى صار أيام الموحدين موضوعًا تفرد له الكتب والدواوين.

* * *

(١) ابن خير: فهرسة ٤٢١.

مراجع البحث

أصول :

ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى)

التكملة لكتاب الصلة (المجلدان الخامس والسادس من المكتبة الأندلسية نشر الأستاذ فرانسيسكو كوديرا - مدريد ١٨٨٧-١٨٨٩) والذيل الذي نشره على هذه الطبعة المستشرقان جونثالث بلنشيه Gonzalez Palencia والاركون Maximiliano Alarcon ضمن مجموعة من الدراسات والنصوص العربية (Miscelana de estudios y textos arabes) مدريد . ١٩١٥ .

الحلة السيراء : (نظرًا لتعذر الرجوع إلى نشرة دوزى الجزئية لهذا الكتاب اضطررت إلى الاستعانة بالنسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم ٧٨٩٧- رقم XIII في كتالوج المكتبة الوطنية - ط . مدريد ١٨٨٩)

ابن أبي أصيبعة : (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم)

عيون الأنباء في طبقات الأطباء (جزآن ط . القاهرة ١٢٩٩-١٣٠٠)

ابن الأثير : (على بن أحمد بن أبى الكرم)

الكامل في التاريخ (٩ أجزاء ط . القاهرة ١٣٤٨-١٣٥٣)

ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام الشنتريني)

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (القسم الأول في جزئين والجزء الأول من القسم الرابع نشر لجنة من كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٣٩-١٩٤٥) .

حاجى خليفة : (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي)

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (ط . الآستانة ١٩٤١)

ابن حزم : (أبو محمد على بن سعيد بن حزم)

جمهرة أنسان العرب (نشر ليفي بروفنسال - القاهرة ١٩٤٨)
الفصل في الملل والأهواء والنحل(ط . القاهرة ١٣١٧)
نقط العروس في تواريخ الخلفاء (نشر الدكتور شوقي ضيف في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ١٩٥١).
الحميدى : (أبو عبد الله محمد بن فتوح)
جذوة المقتبس (نشر الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى - القاهرة ١٩٥٢)
ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي)
صورة الأرض (ط . ليدن ١٩٣٨)
ابن حيان : (أبو مروان حيان بن خلف القرطبي)
المقتبس في تاريخ الأندلس (نشر الأب ملتشور أنطونيا Melchor Antuna قطعة منه تتعلق بتاريخ الأمير عبد الله بن محمد - باريس ١٩٣٧).
أخبار مجموعة :
(نشر لافونت ألكنترا Lafuente Alcantara - مدريد ١٨٦٧)
ابن خاقان : (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان)
قلائد العقيان (القاهرة ١٢٨٤)
مطمح الأنفس ومسرح التأنس (القاهرة ١٣٢٥)
الخشنى : (أبو عبد الله محمد بن حارث القروي)
كتاب القضاة بقرطبة (نشر خوليان ربيرا Julian Ribera - مدريد ١٩١٤)
ابن الخطيب : (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلمانى)
أعمال الأعلام (نشر ليفي بروفنسال - الرباط ١٩٣٤)
ابن خلكان : (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم)
وفيات الأعيان (جزآن - القاهرة ١٢٩٩)
ابن خير الإشبيلى : (أبو بكر محمد بن خير)

الفهرسة (المجلدان التاسع والعاشر من المكتبة الأندلسية نشر فرانسكو كوديرا وخوليان ربيرا - سرقسطة ١٨٩٣).

رسائل إخوان الصفا :
(في ٤ أجزاء - القاهرة ١٩٢٨).

ابن سعيد المغربي : (على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد)
المغرب في حلى المغرب (نشر الدكتور شوقي ضيف- القاهرة١٩٥٢).

السلاوى : (أحمد بن خالد الناصرى)
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٤ أجزاء - القاهرة ١٣١٠-١٣١٢).

الشهرستاني : (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)
الملل والنحل (على هامش كتاب الفصل لابن حزم).

صاعد الطليطلى : (أبو القاسم صاعد بن أحمد)
طبقات الأمم (ط . القاهرة - بدون تاريخ)

ابن عبد ربه : (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي).
العقد الفريد (ط . القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨).

عبد الله بن بلقين بن زيرى :
مذكراته المسماة (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيرى في غرناطة) نشر ليفي بروفنسال في مجلة Al-Andalus (١٩٣٥، ١٩٣٦) تحت عنوان Les (memoires) de Abd AIIab, dernier roi ziride de Grenade.

عبد الواحد المراكشي :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب (نشر الأستاذ محمد سعيد العريان- القاهرة ١٩٤٩).

ابن عذارى المراكشي :

البيان المغرب في أخبار المغرب (الجزآن الأول والثاني ط . بيروت ١٩٤٧-١٩٥٠ والجزء الثالث نشر ليفي بروفنسال- باريس ١٩٣٠) .
ابن فرحون : (برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد)
الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (القاهرة ١٣٥١)
ابن الفرضي : (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف)
تاريخ علماء الأندلس (المجلدان السابع والثامن من المكتبة الأندلسية نشر فرانسكو كوديرا - مدريد ١٨٩٠) .
ابن القوطية القرطبي : (أبو بكر محمد بن عبد العزيز)
تاريخ افتتاح الأندلس (نشر خوليان ريبرا - مدريد ١٨٦٨) .
المالكي : (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله)
رياض النفوس (الجزء الأول نشر الدكتور حسين مؤنس- القاهرة ١٩٥٤) .
المقدسى : (شمس الدين أبو عبد الله محمد)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط . دى خوية - ليندن ١٩٠٦)
المقري : (أحمد بن محمد المقري التلمسانى)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (عشرة أجزاء نشر الشيخ محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٩) .
النباهى : (أبو الحسن على بن عبد الله بن الحسن الجذامى المالقى)
تاريخ قضاة الأندلس المسمى بـ (كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) (نشر ليفي بروفنسال - القاهرة ١٩٤٨)
ياقوت : (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي)
معجم البلدان (ط . القاهرة في ٨ أجزاء ١٩٠٦) .

أبحاث حديثة :

أحمد أمين :
ضحى الإسلام (الجزء الثالث - القاهرة ١٩٤١)

محمد كامل حسين (دكتور) :
في أدب مصر الفاطمية (القاهرة ١٩٥٠)
ديوان المؤيد داعي الدعاة (القاهرة ١٩٤٩)
جبرائيل جبور :
ابن عبد ربه والعقد (بحث في مجلة المشرق الصادرة في بيروت في سنتي ١٩٣٢، ١٩٣٣)
إميليو غرسيه غومس :
الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه (ترجمة الدكتور حسين مؤنس - القاهرة ١٩٥٢).
آدم متز :
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده في جزئين - القاهرة ١٩٤٧).
فان فلوتن :
السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات (ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن والشيخ زكى إبراهيم - القاهرة ١٩٣٤)

* * *

أبحاث أوربية :

R . Dozy. Histoire, des Musulmans d'Espagne (3 ed. Levi-provencal, Leyden 1932)

E. Levi- provencal: Histoire des I' Espagne Musulmans) Paris, Leydes 1950). Traduccion espanola de E. Garcia Gomez (en Histoire de Espagna, dirigida por R. Menendez pidal (Madrad 1950).

L' Espagne Musulmane au x suecle. Institutions et oie sociale) Paris 1932)

E. Levi- provencal. E. Garcia Gomez. una cronica de Abd al-rabman al- Nasir (Madrid-Granada 1950).

E. Garcia Gomez. Poemas arabigo-andaluces (Madrid 1943)

M. Asin Palacios. Ibn Masarra y su escuela (en obras escogidas t. I, Madrid 1946).

benbazam de cordobay au Historia Critica de las ideas religiosas (Madrid 1927-32).

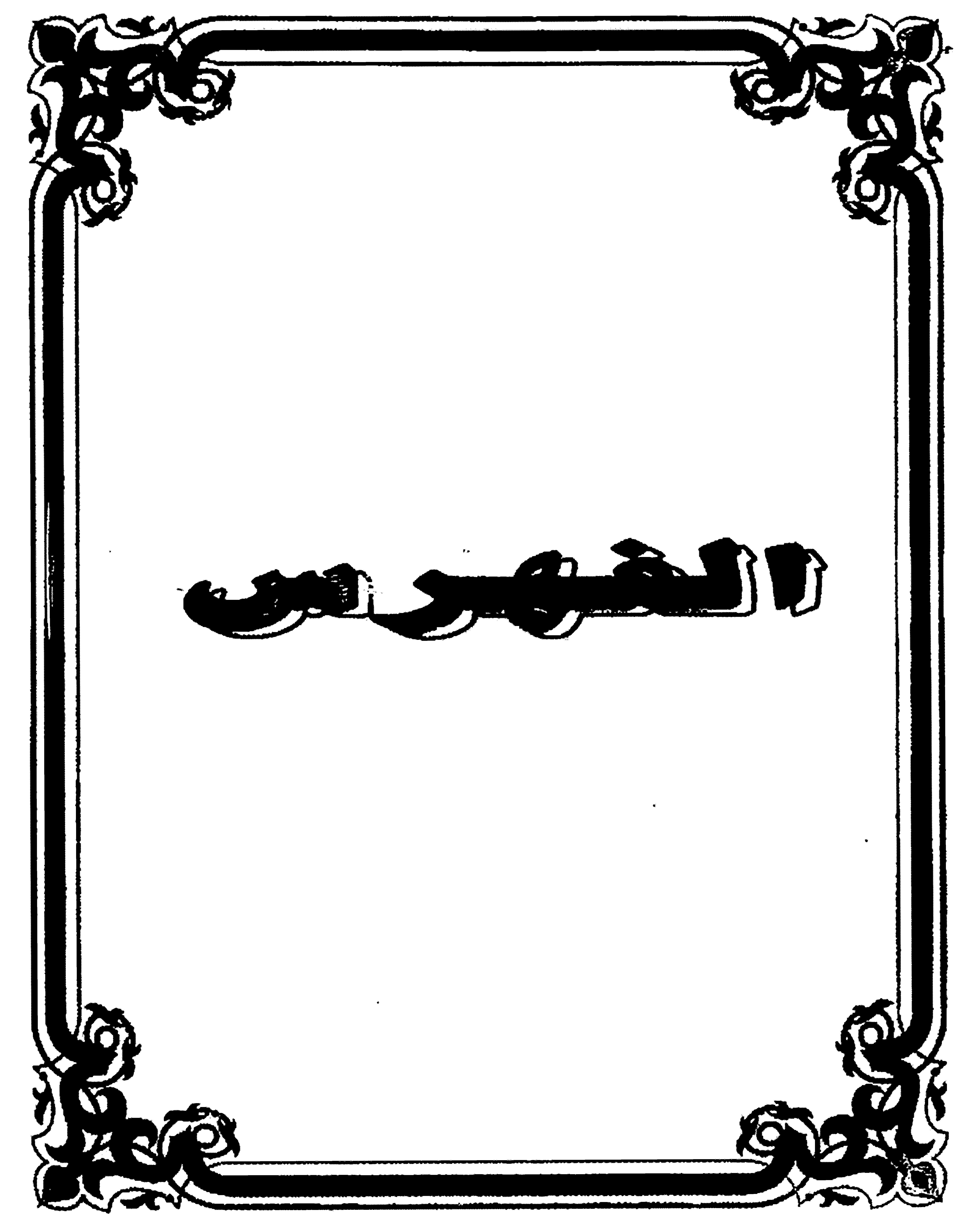
Henri Pers. La Poesie andalouse en arabe classiqu auXI siecle (Paris 1937).

A. Prieto y Vives. los reyes de taifas (Madrid 1936).

A. R. Nykl. Hispano-arabic poetry (Baltmore 1946).

Jose M' Millas Vqllicrosa. La Poesia sagrada bebraico-espanola (Madrid-Barcelona 1943).

* * *



الفهرس

الفهرس